مجلة شهرية

Issue No: 195 عدد:

November 2023 شهر تشرين ثاني

نـــــــور يسوع المسيح المسيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الرب العالم Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

نقل جسد القديس جيوارجيوس المُظَفَّر

رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل

القديس يوحنا الذهبي الفم

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تجديد هيكل القديس جوارجيوس في مدينة اللد أي وضع جسده

(٣ تشرين الثاني شرقي، ١٦ تشرين الثاني غربي ٢٠٢٢)

يهتفُ صاحب المزمور قائلًا: «أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ.» (مز ٤٢: ٣)

أيُّها الآباء الأَجِلَّاءُ والإخوة المحبوبون في المسيحِ، أيُّها المسيحيُّون الزوار الأتقياء،

إنَّ الْعِيدَ البهيج لتذكار تَجْدِيد هَيْكَل الْقِدِّيس الشَّهِيد الْعَظِيم جاورجيوس في مدينتكم التَّارِيخِيَّة الْعَرِيقَة مَدِينَة اللِّدِّ قد جَمَعْتَنَا الْيَوْمَ هَهُنَا، لِكَي نَرْفَعَ الشُّكْرَ والتمجيدَ لِلْإِله الْقُدُّوس الَّذِي مجَّدَ قديسهُ وجعلهُ عجائبيًّا.

لَقَد تَغَذَّى جاورجيوس بِالْفَضَائِل الأَخْلاَقِيَّة وَقِيَم الْإِيمَان الْمَسِيحِيَّة مِن أَبَوَيْن تقيِّين، فوالدهُ كَانَ مِنْ كبادوكيا وَأُمُّه فلسطينيَّة، كان جاورجيوس قويّ البنية مِقْدَامًا وهيًّا. وبحسب كاتب سيرتِهِ أنّهُ بفضلِ جرأتِهِ وسيرتِهِ الحميدة نالَ حظوةً لدى **الإمبراطور ديكلتيانوس** وتبوّأ مراكزَ مرموقةً في الجيش الرُّوماني.

إنَّ صَدِيق الْمَسِيح جاورجيوس كَان مُلهمًا مِنْ الْأَقْوَالِ الداوديَّة: «أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ» ومِنْ الْوَصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّة: «لا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا» (متى ١٠: ٢٨). لِهَذَا فَإِنَّهُ عِنْدَمَا مَثَلَ أَمَامَ **ديكلتيانوس** كَرَزَ بشَجَاعَةٍ وَجُرْأَة بِسِرِّ حُسْنِ الْعِبَادَةِ قَائِلًا بِأَنَّ الْمَسِيح هُوَ الإلهُ وَابْن الله. إنَّ هَذَا الِاعْتِرَافَ، اعْتِرَاف الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيّ قد خَتَمَهُ الْقِدِّيس الْعَظِيم بِدَمِه وموته الاستشهادي.

إنَّ مَوْتَ جاورجيوس الاستشهادي قَدْ جَعَلَهُ مَعْرُوفًا فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ حَيْثُ يَنَال الْإِكْرَام مِنْ عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنْ الشعوب والأقطار الذين يوقِّرونه وَيَتَشَفَّعُون به، وَقد شُيِّدَتِ العَدِيدُ مِنَ الْكَنَائِسِ لإكرام تَذْكَارِهِ الْمَقْدِس، وَمَنْ بَيْنِ هَذِهِ الْكَنَائِس هَذِهِ الْكَنِيسَةُ الَّتِي تَحْمِلُ اسْمَ الْقِدِّيس الْمَجِيد الْعَظِيم فِي الشُّهَدَاءِ جاورجيوس، وتَتَمَيَّزُ هٰذِهِ الكنيسة فِي مدينتكم التَّارِيخِيَّة أَنَّهَا شُيِّدَتْ فِي عَهْد **الملكيْن العظيميْن المتوَّجين مِن الله والْمُعَادِلَيْن الرُّسل قُسْطَنْطين وهيلانه** حَيْث نَقَلُوا ووضعوا فِيهَا رُفَاتَه المقدَّسة.

إنَّنَا نُعيِّد اليوْم بِفَرحٍ وَحبُورٍ لِهَذا العمل المرضيِّ للهِ والْجدير بِكُلِّ تَقدِير وَهُو تَجدِيد هَيكَل القدِّيس الْعظِيم جاورجيوس ووَضْع الرُّفَات المقدَّسة بِداخِله. وَمِن الْجدِير بِالذِّكْر أن هَيكَل بَيْت العبادة للهِ، يَخُصُّ أوَّلا تجْدِيد الإنْسان الْقدِيم فِي الْمسِيح، وَذلِك عَبْر مَوهِبة الرُّوح الْقُدُس فِي سِرِّ المعْمودِيَّة المقدَّسة، كمَا يكرِزُ القدِّيس الرَّسول بُولُس: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ، لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ». (١ كُورنثوس٣: ١٦-١٧)، «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟» (١ كُورنثوس٦: ١٩)، وَكمَا يَقُول أيْضًا القدِّيس غرِيغورْيوس اللَّاهوتيّ : «تَجَدَّدُوا رَافضِين الإنْسان الْقدِيم واسْتوْطنوا الحيَاة الجديدة».

وَهذَا يَعنِي أَيُّهَا الْإِخْوةُ الْأحِبة بِأَنَّ الله أي الأقنوم الثالث الرُّوح الْقُدس لَا يَسكُنُ فِي هَياكِل مَصنُوعة بِالْأيْدي، بل فِي جسد الإنْسان حَيْث قَلْبُ الإنْسان. ولْنَستَمِعْ لِلرَّسول الإنْجيليّ لُوقَا قائلًا فِي سفر أَعمَال الرُّسل: «وَلكِنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى لَهُ بَيْتًا.لكِنَّ الْعَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَيُّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ أَلَيْسَتْ يَدِي صَنَعَتْ هذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا؟» (أَعمَال ٧ :٤٧ _ ٥٠)

وعدا عن هٰذَا فَإن القدِّيس الرَّسول بُولُس فِي رِسالَته إلى أَهْل افسَس يُصلِّي لِكيْ يَسكُن الْمسِيح بِالْإِيمان فِي قُلوبِهم إذ يقول :« بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيح، لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أفسس٣: ١٤-١٧). إنَّ الرُّوح الْقُدُس رُوح الْمسِيح هُو ذَلِك الَذِي سَكنَ فِي قَلْب جاورجيوس وأنَار ذهنهُ وعقلَهُ وَجدَّد أحْشاءَهُ كمَا يذكُرُ الْمَلِكُ النبِي دَاوُد فِي

المزمُور قائلًا: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي.» (مز ٥٠: ١٢).

وإذ كان **جاورجيوس** الشُّجَاع ممتلئًا بالإيمان **والرُّوح اَلقُدُس** فلم يَجزَع قطُّ أو يَتَرَدَّد أَمَام **الإمْبراطور الرُّومانيّ ديكلتيانوس** وَبكلِّ إرادةٍ وَجُرأَةٍ كَرزَ بِأَنَّهُ مَسيحِي، فاقتبلَ مَوْت الشَّهادة مِن أَجْل حَقِيقَة **اَلمسِيح**. فإنَّ محبَّة البَارِّ **جاورجيوس** تغلّبت على الطبيعةِ البشريَّة فأقنعت العاشق بأن يَصِلَ بواسطةِ الموتِ إلى معشوقهِ **اَلمسِيح الإله** مخلص نفوسنا.

فبشفاعَة من نكرّمهُ اليوْم **القدِّيس جاورجيوس اَلعظِيم في الشُّهداء اللاّبس الظَّفر** فِي هٰذِه الكنيسة اَلتِي تَحمِل اسْمه **وبتوسلات البتُولِيَّة مَريَم وَالِدة الإله أم الله** كي نحظى نَحْن أيْضًا **بِتجْدِيد الرُّوح اَلقُدُس** فِي قُلوبِنَا. آمين

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

نشأت **ظاهرة الإلحاد** في الغرب، وأصبحت حركة على مستوى العالم وكلَّفت الحضارة الغربيَّة غاليًا في القرن العشرين. بدأ الإلحاد داخل الكنيسة الغربيَّة كردٍّ فعلٍ من جانب الرِّجال المتعلِّمين على طبيعة تلك الكنيسة التَّعَسُفِيَّة وقَسْوَتِهَا **(محاكم التفتيش وما شابه)**. في الشرق، لم يكن هناك مشكلة من هذا القبيل خاصةً حول العلاقة بين العلماء والكنيسة، ويرجع ذلك إلى حدٍّ كبير إلى ثلاثة رؤساء كهنة عظماء . **(القديسون: باسيليوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم)**

أ – كانوا رجالًا جهابذة في العلم. لقد كانوا رؤساء كهنة باحثين مع سنوات من الدراسة وراءهم وكانوا أكاديميين لامعين. باسيليوس الكبير درس في جامعة أثينا في تلك الأيام. يقول غريغوريوس أن باسيليوس كان سيِّد جميع فروع المعرفة فيما كان الآخرون سادة فرعٍ واحد فقط. لقد كانوا في نفس الوقت علماء وقدِّيسين. لقد حلُّوا مسألة العلاقة بين العلم والإيمان بطريقة شخصِيَّة. من خلال حياتهم، أعلن الأقمار الثلاثة أنَّ العلم والإيمان ليسا متناقضين.

ب – لقد خدموا الحقيقة. الكنيسة كما أسَّسها **اَلمسِيح والرسل** هي **عالم نور وحقيقة وحياة**. من جهة أخرى، يسعى العلماء إلى الحقيقة والنور بطريقتهم الخاصة. خدم الأقمار الثلاثة حقيقة المسيحِيَّة دون أي تزييف. لقد اختلف العلماء في الغرب وكان عندهم اعتراضات قويَّة على لاهوت الكنيسة الغربيَّة السكولاستيكي (السكولاستيكي تطلق عادةً على مدرسة فلسفية سادت في أوروبا في العصور الوسطى، وكانت تستخدم منهجًا نقديًا في التحليل الفلسفي، انحدرت السكولاستية من مدارس الرهبنة المسيحية في الغرب). أمَّا إذا قرأنا تعليم الأقمار الثلاثة، فلا شكَّ ولا اعتراضات. لأنهم خدموا النور والحقيقة ولا أحد يعارض الحقيقة.

الإلحاد ليس ظاهرة روحيَّة من الشرق. لقد تقدَّم الإلحاد كمُنتَج روحي من الغربِ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. في تلك السنوات، لسوء الحظ كان الناس يُلَقَّمون مع التغذية – المادية والروحيَّة – التي تم استيرادها من الخارج.

نحن نعيش اليوم في عصر آخر. كانت هناك عودة إلى التقليد الرُّوحي الأرثوذكسي وآباء الكنيسة. لقد اكتفينا «بالقشور» المستوردة من الغرب. حان الوقت للعودة إلى بيت آبائنا، للتمتُّع بكنوزهم، للاغتذاء وتغذية الناس الذين يعانون من الجوع لكلمة ربِّنا. (العودة إلى كنوز آباء الكنيسة، الذين وُهبوا الاستنارة من الرُّوح القُدُس).

القديس يوحنا كرونشتَادت وتربية الأولاد

المتقدم في الكهنة ألكسندر زالاتاكو

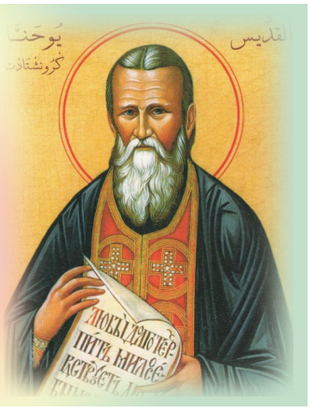

نفس الولد هي جمال إلهي:

اعتبر **القديس يوحنا كرونشتادت** أنَّ محبَّة الأولاد أساس عمل المعلِّمين، وهذا ما تحمله غالبية تقنيات العلوم والنشاطات التربويَّة الحديثة. كان يقول لتلاميذ الثانويَّة حيث كان يعلِّم: «أنتم أبنائي، لأنَّني ولدتكم ولا أزال ألدُكم إلى بشرى **يسوع المسيح** الحسنة. إنَّ دمي الرُّوحي، أي تعليمي، يجري في عروقكم. أنتم أبنائي، لأني أحفظكم دائمًا في قلبي وأنا أَصَلِّي من أجلكم. أنتم أبنائي، لأنكم نَسْلي الرُّوحي. أنتم أبنائي، إذْ بحقٍّ، ككاهن أنا أبٌ وأنتم تدعوني «باتيوشكا» («الأب الصغير»، وهو اسم مناداة رقيق لِلْكاهِنِ).

عاش في الاب يوحنا نوعٌ من المحبَّة الملائكيَّة للأطفال، وهذا ألهمه ونشَّط عمليَّته التعليميَّة بِرُمَّتِهَا. كانت هذه المحبَّة هديَّة خاصة من نعمة الله، وقد اشتعلت في داخله بقوَّة بحيث أنَّهُ في السنوات اللاحقة، عندما توقَّف عن التعليم، غالبًا ما كان يَشفي الأطفال المرضى بقوَّة المحبَّة والصلاة، مُباركًا إيَّاهم دائمًا وموجِّهًا إيَّاهم في الإيمان. لطالما كان يبكي على الأطفال المرضى، وخاصة إذا كانوا مرضى روحِيًّا! فمرَّة يداعب رأس طفل مهتزّ عاطفيًّا، ومرة أخرى يقبِّل فتاة واقعة تحت مرض خطير في المستشفى، راكعًا أمام سريرها: «يا عزيزتي، أتتألمين؟ صغيرتي المتألِّمة! » كان الأب يوحنا يرثي لهم.

صرامة الأب يوحنا:

ومع ذلك، قد يكون الأب يوحنا مُفاجئًا. في يوم من الأيام، قام صبيٌّ يبلغ من العمر **ستة عشر عامًا**، وقد كان كسولًا للغايَةِ **وفاسد الأخلاق**، وعَبّر عن عدم إيمانه **بألوهِيَّة الرُّوح القُدُس** أمام الصف بأكمله. ومع أنَّ الأب يوحنا وصفه بأنَّهُ كافر وبغيض، إلَّا أنَّهُ أجاب على سؤاله. في وقت لاحق استدعاه وأجرى معه محادثة على انفراد، من بعدها أحسَّ الصبي بالتجدُّد والقُوَّة بالرُّوح.

يتذكَّر البعض أنَّ سيِّدة نبيلة اشتكت إلى الأب يوحنا عن تدهور مستوى تربية أطفالها الدينيَّة والأخلاقيَّة. فقد قالت إنَّ « معلميهم يدرسُّونهم كل ما يحتاجونه لاجتياز الامتحانات ويكونوا أذكياء». صحّح لها الأب يوحنا قائلًا: «يجب أن تقولي إنهم يقصفونهم وليس يدرسّونهم». «عندما يُقصَفون بالمعرفة الروحيَّة يتملَّكهم نفس الشُّعور الذي يتملَّكهم عندما يتعلمون الحساب وما شابه. ولكن ماذا عنك؟ هل تهتمِّين بنفوسهم؟ هل وَجَّهتِهم حتى يسعوا إلى استحسان الله كما يسعون إلى استحسان البشر؟ «أقترح عليهم ذلك قدر استطاعتي»، أجابته السيدة. «في نهاية الأمر، لا يمكن للمرء أن يجد الباب إلى قلب طفله».

«أنتِ لم تجدي الباب إلى القلبِ، لذلك سوف تحصلين على وحوش بدلًا من البشر»، أجاب الأب يوحنا. « لقد نسيت أنَّ الرَّبَّ قد أظهر البشريَّة مثلًا في أنواع الطيور. يضع الطائر أولًا بيضة، وطالما هذه البيضة محفوظة إلى الوقت المناسب، فهي تبقى كائنًا جامدًا. هذا الأمر نفسه ينطبق على الناس. الطفل المولود هو البيضة مع بدايات الحياة الدنيويَّة، ولكنه فاقد الحيويَّة من جهة نموه في **المسيح**. إنَّ الطفل الذي لم يدفئه والداه وعائلته حتى جذور روحه، حتى جذور كُلِّ مشاعره، سيظل ميتًا بالرُّوح بعيدًا عن الله والأعمال الصالحة. وبالتحديد من هؤلاء الأطفال الذين لم يدفأوا من المحبة والرعاية الرُّوحيَّة. تأتي هذه الأجيال إلى العالم، ومنها سوف يجنِّد أمير هذا العالم جيوشه **ضدّ الله وكنيسته المقدسة**».

عظمة الثقة والمسؤوليَّة في تعليم أطفال الله:

يحذّر الأب يوحنا من أنَّ الله والآباء قد أَوْكَلُوا أطفالهم إلى المعلِّم، وهذا يتطلَّب مسؤوليَّة وعلاقة دقيقة معهم. وكثيرًا ما لاحظ أنَّ كل شيء جميل، شخصي، وفريد من نوعه قد تمَّ وضعه بالفعل في قلب الطفل كما في بذرة. من جهة أخرى، يوفرّ الله كل ما يلزم لنموهم وتنميتهم. ولكن من أجل عملنا الذي هو التربية وهو عمل متواضع لكنه صعب مُضْنٍ، فيجب أنْ نقتني محبَّة الأطفال والاهتمام بهم. ولكن المكافأة على هذا العمل الذي يُنجز وفقًا لما يُمليه الضمير كبيرة على قدر المسؤوليَّة التي فيه، إذ قد عهد الله به إلينا لأنَّ الأطفال هم ميراثه. فيهم ليس مستقبلنا وحسب، بل أيضًا حاضرنا، وبشكلٍ خاصّ المستقبل الأبدي. يذكِّر الأب يوحنا المعلمين: «اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ» (مت ١٨: ١٠). «عندما لا تستلطفونهم لسبب ما. إنكم تستهجنون **ملاك الله** المُكلَّف بالسَّهرِ عليه. أنتم تستهينون بطفل الله، وقبل الكلِّ انتم تزدرون **الرَّبّ** نفسه أبا جميع الأطفال». وهكذا، فإنَّ كُلّ من يخالف أصغر هذه الوصايا بسبب الإهمال، معتبرًا إيَّاها بلا شأن، ويعلم الآخرين أنْ يسلكوا على المنوال نفسه، فسوف يُدعى الأصغر في ملكوت السماء. (بحسب تفسير القديس يوحنا الذهبي الفم «إنَّ مخالف الناموس سيكون الأصغر، أي الأخير، المطرود من ملكوت السماء وغير المستحق له.»)، ومن يحفظ ويعلِّم الوصايا فسوف يُدعى كبيرًا في ملكوت السماء (راجع متى ٥: ١٩).

وصايا القديس يوحنا للمعلِّمين:

ماذا يوصي الأب يوحنا معلِّمي الأطفال من أجل التمييز والانتباه من الخطيئة؟ ماذا يوصي الأطفال أنفسهم حتى يعرفوا الخطر ونتائج الخطيئة؟ كان يقول: «حَذِّروا الأولاد من الخطيئة ونتائجها!» وكان يعلِّم: «لا تتركوا الأولاد من دون ملاحظة في ما يتعلَّق باقتلاع من قلوبهم هشيم الخطيئة والفساد والشَّر وأفكار التجديف، وأهواء الخطيئة، والميول والعادات التي تتكوَّن منها حياتنا ايضًا. إنَّ عدوَّ الخلاص والجسد الخاطئ لا يوفِّران الأولاد أيضًا، فعندهم كُلُّ بذور الخطايا. أَظْهِروا للأولاد صورةً عن الخطر كلِّه ونتائج خطاياهم المؤلمة، حتّى لا يكون جهلهم وعدم معقوليتهم سببًا لتنشئتهم على يد كبارهم على طريق الحياة بالأهواء والعادات الخاطئة التي تتضاعف مع التقدُّم بالعمر.»

إنَّ التنشئة المسيحِيَّة هي خطُّ الدفاع الأول في الصراع من أجل خلاص نفس الولد. الأب يوحنا الذي كان قد عانى من صعوبة التعلُّم حين كان طفلًا، كان بحسب ذكريات معاصريه مربيًّا مميّزًا. لم يلجأ يومًا إلى طُرُقِ التعليم التي كانت منتشرة في المدارس: لا للصَّرامة المفرطة ولا للإذلال المعنوي لبطيئي التعلُّم. علاقته الدافئة الحنونة مع التلاميذ كانت معروفة، وكانت نفسها تنطبق على عمل التعليم. لم يكن عنده متعلِّمون بطيئون. الكلُّ من دون استثناء، كانوا يغرقون بشراهة في كل كلمة. لم يكونوا يصبرون إلى أنْ يبدأ الصف، فدروسه كانت بالغالب مُتعةً للتلاميذِ أكثر منها حِمْلًا وواجبًا، لقد كانت محادثة حيَّة وحديثًا جذَّابًا وقصصًا مثيرة وآسرة للانتباهِ.

كان هناك حالات يدافع فيها الأب يوحنا عن تلميذٍ كسول صدرت بحقه «إدانة» بالطرد، وكان يتحمَّل مسؤولِيَّة إصلاح الولد. وما أنْ تمرَّ سنوات قليلة حتّى يستقيم الولد شخصًا محترمًا وهو الذي كان حالة ميئوسًا منها.

قبل كُلِّ شيء، على المسيحيين أنْ يحرصوا على أنْ يُنَمُّوا الأولاد ثابتين في الإيمان المسيحيّ، أبناء حقيقيِّين لله، أعضاءً أحياء للكنيسة، لكي يَتَصَوَّرَ المسيح في قلوبهم (أنظر غلاطية ٤:١٩)، فيحبُّوا الله ويفضِّلوه على كُلِّ شيء في الحياة الأرضِيَّة، ومن ثمَّ قريبهم كنفسهم (متى ٢٢:٣٧-٤٠). وكما يقول القديس سارافيم ساروفسكي يكون هدف حياتهم «اكتساب الرُّوح القُدُس» من أجل خلاص نفوسهم.

مُنَشِّط لكاهن أرثوذكسي الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي

١) بعد أنْ قَبِلْتَ نعمة السِّيامة، ضعْ في اعتبارك ما هي الموهبة والرَّحمة التي وجدك الرَّبُّ مستحقًا لها، وأيَّةُ مسؤولِيَّة تتحمَّلها الآن. الكاهنُ هو رسولٌ لرعيَّته. «أنا لست لنفسي، بل للآخرين» قال الكاهن الروسي العظيم الأب (الآن القديس) يوحنا كرونشتادت.

٢) يقول الكتاب: «لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ.» (ملاخي ٢:٧). اهتمَّ بهذه الكلمات أيها الكاهن الأرثوذكسي. يجب أنْ تكون مبشّرًا بشريعةِ الله وحقِّ إنجيله لرعيتك التي تعود إليك من أجل هذا الشيء بالذَّات.

٣) خَفْ من الإهمال في عملِ الخدمة المقدس كما مَنَ النَّارِ، والأكثر مِنْ ذلك في خدمتك أمام مذبح سيِّد المجد الرهيب. يحذِّر الكتاب المقدس بشدة: «مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ» (إر ٤٨:١٠). كُنْ قدوة حسنة في مخافة الله والتقوى لمن يشترك معك ويساعدك في خدمتك، فيبقَى بعيدًا عن المذبح المقدس كُلُّ مَنْ يدخله بإثم.

٤) صَلِّ باستمرار للرَّبِّ مِنْ أجلِ المعونة والفهم في إدارة شؤون الرَعِيَّة. عسى أنْ يمنحك الرَّبُّ روح العفَّة، والتواضع واتضاع الفكر، والصبر، والمحبَّة... (صلاة القديس أفرام السوري)، يجب أن يكون لدى المرءِ كُلُّ هذه الفضائل للعمل في الرَّعية. ثمِّنْ آراء الإخوة الأكبر سنًّا والأكثر خبرة، والمشورةَ الحكيمة للعلمانيين الأتقياء المخلصين للكنيسة. تَمسَّكْ بزمام قيادة سفينة رعيتك، ولكن في نفس الوقت، قبل حسم أيِّ قضية واتخاذ قرار رعائي، اتّبعْ أولًا إرشادات الأشخاص الذين اكتسبوا ثقتك - مع أنَّ كُلَّ شيء في الكنيسة يقرِّره القادة الرُّوحيون - الرُّعاة، لكنه يُناقَش أولاً بحكمة مجمعيَّة - بروح الجامعيَّة، الوحدة الشاملة يجب أنْ تصبغ حياة الرَعيَّة وعملها.

٥) أُكَرِّرُ: إمسك القيادة بيديك بحزم، وحاول أيضًا أنْ تجتذب أبناء الكنيسة الصالحين الأتقياء إلى العمل الحيّ في الرَعِيَّة، وخلق عائلة روحيَّة واحدة متناغمة مع مساعديك. لا تنسَ الأطفال. حاول بجدِّية أنْ تعلِّمهم وترشدهم وتربيهم بروح الكنيسة، طالبًا ذلك منهم ومن والديهم بشكل دائم. فليكُنْ مساعدك الحقيقي في هذا، الشريك الذي وهبك إياه الله في هذه الحياة - خوريتك. في حياة الرعايا، كثيرًا ما يحدث سوء تفاهم وصراعات بسبب تورط زوجات الكهنة في الأمور الرعائيَّة وعمل أزواجهن - وهذا يجب تجنُّبه. ولكن في الوقت نفسه، هناك جوانب مِنْ حياة الرَعيَّة يمكن أنْ تكون فيها زوجة الكاهن أفضل مساعِدة له، في جزءٍ كبيرٍ منها في عمل التربية المسيحِيَّة وتنشئة الأطفال.

٦) وإذ تعمل في الرَعيَّة، لا تَكفَّ عن العمل على ذاتك. يجب أنْ يتشابك العملان معًا. يُوجِّه بولس الرسول تلميذه القديس تيموثاوس: «لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ. إِلَى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ... لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا». (١ تيمو ٤:١٢-١٦).

ليكُن الرَّبُّ معينَك في كُلِّ شيء. إذ قبلتَ نعمة السِّيامة مرتين - الشموسية والكهنوت - لا تنسَ أنْ تُصلِّي باستمرار للرُّؤساء الذين وضعوا أيديهم عليك.

«فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ» (لوقا ١:٤٦-٤٩).

لو كان للإنسان الأول العظمة الحقيقيَّة لكان في مجدٍ دائم أمام الله، وَمُعَظَّمًا بقوله تعالى، ومسرورًا بالحياةِ الأبديَّة. لكن الأرضي غيَّر في نفسه الرغبة في مجد الله. وأَمَلًا بالكثير بادرَ إلى أشياءَ لم يحصل عليها، فأَضَاعَ ما كان قادرًا أنْ يحصل عليه. ومنذ ذلك الحين أصبح التواضع العلاج الأكبر للشفاء مِنَ المرضِ، والطريق للرُّجوع إلى الحالةِ الأولى، أي ألَّا يخلق الإنسان لنفسه مجدًا، بل أنْ يفتِّش عنه عند العليّ. فبهذا فقط يقدر الإنسان أنْ يُصلِّحَ خَطَأَهُ. وبهذا فقط تُدَاوى العِلَّة.

لقد **أغوى الشيطان** الإنسان وأسقطه مُؤَمِّلًا إيَّاهُ **بالمجد الكاذب** ولم يَزَل يُشجِّعه بالآمال الكاذبة ناصبًا له الفِخَاخَ. فلا تتكبَّرْ أيُّها المسيحيّ أمام أحد حتى أمام المثقلين بالخطايا، لأنَّ التواضع يعصمك عن الخطايا العظيمة. ولا تُبرِّرْ نفسك أكثر مِنْ غيرك لأنَّ بتبريرك نفسَك على حسب معرفتك تتعرض لدينونة الله العليّ، فقد قال رسول المسيح: «لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا. فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا. وَلكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ.» (١كو٤:٣-٤). فإنْ عملتَ صالحًا حسب ظنِّك فاشكُر الله ولا تفتخر أمام القريب لأنَّه قيل:«لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ.» (غلاطية ٦:٤).

إِحْذَرْ أنْ تكون **مُعادِلاً للشَّيطان في السقوط**، فقد افتخر قبل الإنسان **فَسَقَطَ**، «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.» (لو١٠: ١٨). **وحلَّ الإنسان محلَّه**. لا تكن **حاكمًا متساهلًا** مع نفسك **مُتباهيًا** بأعمالك الحسنة **مُتناسيًا** هفواتك **مُفتخرًا** بخدماتك التي عملتها اليوم، **مُسامحًا نفسك** بما عملت من السيئات أمس. إنْ كانت أعمالك الحاضرة تدعوك للفخرِ بها، فَكِّرْ بأعمالك الماضية لتتخلَّص من حماقة العجرفة. وإنْ رأيتَ قريبك أثيمًا فلا تنظر إلى الإثم وحده بل فَكِّرْ به وبما أتاه مِنَ الأعمال الصالحة، وكم تحمَّل مِنَ المشقَّاتِ! لا تحكُم عليه بحسب الظاهر، فتجده أفضل منك، إنَّ الله تعالى لا يحكُم على المظاهرِ، لأنَّهُ عندما وبَّخ **الملك يوشافاط** عن إثمه ذكَرَ حسناته أيضًا قائلًا: «غَيْرَ أَنَّهُ وُجِدَ فِيكَ أُمُورٌ صَالِحَةٌ » (أخبار الأيام الثاني ١٩:٣). فلنتعلَّمْ التواضع حتى يسطع فينا نُور المجد الأبدي الذي هو هبة كاملة حقَّة مِنَ **السَّيد المسيح**، فإنَّنا نتوصَّل إلى التواضع الخلاصي بترك التَّكبُّر المُهلك، فلا نهمِل شيئًا لِقَلَّا يحصل لنا شَرٌّ منه، لأنَّ النَّفس تتردَّى بأعمالها.

إذن! يتوجب عليك يا مُتَّبِع **المسيح** ألَّا يُرى فيك شيءٌ زائد، إنْ كان في هيئتك الظاهرة أو في لباسك أو خطواتك، أو مقعدك أو طعامك أو فراشك أو دارك. وليكن حديثك مع قريبك مائلًا إلى التواضع والوَقار لا إلَى التكبُّرِ والعَجْرَفَةِ، لا تتصنَّع في حديثك، بل اجتهد أنْ تَصُدَّ عنكَ الكبرياء. كُن ليِّنًا مع الآخرين وديعًا مع الحزْمِ، **لا تحقد** على الوَقِحِ، **أحِبَّ** الضعيف، **عُزِّ** التعيس المنكود الحظّ، **عُدِ** المريض، لا تحتقر أحدًا، لا تفتخر بما عملت من برٍّ. **أَنِّبْ** نفسك على خطاياك حتى تكون صِدِّيقًا. فالصِدِّيق هو الأول في اشتكاءِ نفسهِ (أمثال ١٨:١٧)، وحتى تكون مثل **أيوب**: «إِذْ رَهِبْتُ جُمْهُورًا غَفِيرًا، وَرَوَّعَتْنِي إِهَانَةُ الْعَشَائِرِ، فَكَفَفْتُ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْبَابِ.» (أيوب ٣١:٣٤). لا تكن قاسيًا بالتوبيخ، لا تدِنْ غيرَك لأجلِ أشياءَ تافهة، أصلِحْ روحيًّا الخطأة **كبارٌ** صارم كما علَّم الرسول بولس: «نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا.» (غلاطية ٦:١). تجنَّب المدح والثناء بقدر الإمكان، تذكَّر أنَّ **المسيح** قال: أنَّ كُلَّ من تظاهر أمام الناس بأعماله الصالحة خسر المكافأة عليها مِنَ الله: «إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!» (متى ٦:٢).

لا تخسر أجرك مِنَ الله بتباهيك أمام الناس، لأنَّ العليّ يرى من فوق. **فتِّش** عن المجد أمام الله فيعطيك جائزة المجد. إنْ كنتَ مستحقًّا للأولويَّة فلا أحد يُنكِرُها عليك. كُنْ معادلًا للمرؤوسين: كَمَن يكون مثالًا للرعيَّة (١بط ٥:٣). إنَّ السَّيد له المجد أَمَرَ: «وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلًا، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا.» (مر١٠:٤٤)، وباختصار، كُنْ متواضعًا حتى تتمجَّد بالتواضع. وهكذا ترتفع رويدًا رويدًا نحو المجد، نحو مجد الملائكة، نحو المجد أمام الله، لأنك إنْ تمثَّلت بتواضع السَّيد **المسيح** يعترفُ بكَ كتلميذ ويمجِّدُكَ. «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.» (متى١١:٢٩) بذلك يبشّر السَّيد

ما هي العدالة الإلهيّة وكيف تتحقّق؟

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

واحدة مِنْ أسمى وأَفَذّ الصِّفات الإلهيَّة، أو السُّلطات، أو القِوَى، هي **العدالة**. يمنح **الله** مخلوقاته العدالة وَفْقًا لاحتياجاتهم لكي يسلكوا بشكل مُنَظَّم ويتربَّوا. يغذّي **الله** الكون وَيَضْبِطُهُ بطريقتين. الأولى هي قواه الإبداعيَّة غير المخلوقة: «لأَنَّهُ هوَ قَالَ فَكَانُوا. وَهُوَ أَمَرَ فَخُلِقُوا» (مز٣٢:٩). الطريقة الثانية: هي سلطتُهُ الحافظة وعنايته التي تجمع الكون وتعضده وفقًا لغايةِ كُلِّ كائن. لذا، فالعدالة الإلهيَّة تمنح العناية الضروريَّة لكل كائن حتّى ينجح في الهدف الذي خُلِق من أجله. بهذه الطريقة، تُحفَظ الطبيعة في التوازن. في كل مرَّة يهتزُّ هذا التوازن لأي سبب من الأسباب تعيد العدالة الإلهيَّة القُسطاس (القُسطاس= كلمة روميَّة مُعرَّبة ، معناها: ميزان العدل، أقوَم الموازين.)، وبالتالي يستمرُّ ضبط الخليقة أو بالأحرى يتوسَّع بما يتوافق مع الإرادة الإلهيَّة.

بعد سقوط المخلوقَيْنِ العاقلَين، أي **الملاك والإنسان**، الأمر الذي جذب الباقي مِنَ الخليقة نحو الفساد، صارت القِوَى الإلهيَّة ظاهرة وبالتحديد العدالة الإلهيَّة، التي تُصلِح إفراديًّا أو جماعيًّا تلك العناصر التي لا تطيع الوصيَّة، كما كان في نيَّةِ الخالق في الأصل. العدالة الإلهيَّة تُثَبِّتُ كُلَّ المخلوقات في الترتيب، وما من عاملٍ يمكن أن يُفرَض عليها ويغيِّر مُخطَّطَهَا. هكذا هو الأمر في ما يختصُّ بغير الماديات. بالنسبة للكائنات العاقلة وبشكل خاص **الإنسان**، تُطبّق العدالة الإلهيَّة بشكلٍ كامل، ما عدا بعض حالات التدبير الإلهي حيث تتمّ بأشكالٍ مختلفة بما يتلاءم مع مصلحة كُلِّ **إنسان**. تطبيق العدالة الإلهيَّة متنوّع جدًّا وقليلون فقط، بشكل خاص المستنيرون، هم الذين يفهمون معاييرها. حَذَرُ الرسول بولس يقنعنا بهذا: «لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ.» (١كور١١:٣١-٣٢). لأنَّ **الله** يضبط العالم بعصمةٍ وبطريقةٍ إلهيَّة، تتدخَّل العدالة الإلهيَّة كثيرًا لكي تُعيدَ تنظيم الأمور وتردَّها إلى النظام، لأنَّها كانت بلا خطأ عند لحظة خلقها.

إنْ لم تُعِدِ العدالة الإلهيَّة التوازن، سوف ينشأ الانطباع بأنَّ خَلْقَ العالم هو **سبب الخطأ** وليس انحراف الإنسان وسوء تصرفه. العدالة الإلهيَّة، كونها كاملة وعلى المثال الإلهي، كغَيْرِهَا من الصفات الإلهيَّة، معروفة بأنَّ لها قوتين غير مخلوقتين: الواحدة هي قوَّة التناغم والتوازن، والأخرى هي الاستمراريَّة العمليَّة للمحبَّة الإلهيَّة الكاملة. بالرَّغم مِنْ أنَّنَا ننتهك مكانتنا وواجبنا، لا يسحب **الله** محبَّته وعنايته التدبيريَّتين اللتين تسببان التماسك، إذ بحسب الرسول بولس، الصفات الإلهيَّة لا تتغيَّر.

يظهر تطبيق العدالة الإلهيَّة بطرُقٍ كثيرة. كاتب المزامير والآباء القديسون، كونهم اختبروا الشكل العملي للحرب الروحيَّة، يخبروننا الكثير عن هذا الموضوع. إذا كان الإنسان متنبِّهًا يمكنه تلافي فرضِ العدالة الإلهيَّة في حياته. عليه أنْ يُصلح تجاوزاته مِنْ خلال التوبةِ والمحبَّةِ للعمل الشَّاقِّ المناسب للذَّةِ التي نشأ التجاوز منها. «الْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي، لأَنِّي وَحْدٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا» (مزمور٢٤:١٦)، «رُكْبَتَايَ ضَعُفَتَا مِنَ الصَّوْمِ، وَلَحْمِي تَغَيَّرَ من أجلِ الزيت» (مزمور ١٠٨:٢٤)، «إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ الرَّمَادَ مِثْلَ الْخُبْزِ، وَمَزَجْتُ شَرَابِي بِدُمُوعٍ» (مزمور ١٠١:٩)، «مثلَ القريب والأخ الخاصّ» (مزمور٣٤:١٤)، «اِسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ، وَاصْغَ إِلَى صوتِ تَضَرُّعِي» (مزمور ٣٨:١٢)، «هَئَذَا بِالآثَامِ حُبِلَ بِي، وَبِالْخَطَايَا ولدتني أُمِّي» (مزمور ٥٠:٥).

إذا خالف الإنسان ناموسًا أخلاقيًّا أو طبيعيًّا في حياته الخاصَّة أو ضِدَّ بيئته، فهو يسبب ذنبًا مضاعَفًا، بحسب قوانين التدبير الشامل التي من خلالها يضبط **الله** الكون وَيُنمِّيه. إحدى المخالفات هي التسبُّب بأذى طبيعي غير معقول للأشياء بسبب الإهمال أو قلَّة الاهتمام. طريقة أخرى لدى الجزء الأهوائي فينا هي في تلقِّي **الاكتفاء غير الطبيعي من اللذة**، التي تسمَّى **انحرافًا**. تتدخَّل العدالة الإلهيَّة في كِلَا الحالتين لتعيد التوازن.

هذا بالتحديد هو نوع العدالة الإلهيَّة الذي عناه **الرَّبُّ** عندما قال: «إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ» (متى٥:١٨). إذا «كُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً» (عبرانيين ٢:٢). فماذا نحتاج أيضًا لنؤمن بأنَّ العدالة الإلهيَّة لا تُرْشَى. قولٌ مأثور خاصٌ جدًّا من آبائنا حول هذا الموضوع هو التالي: «**إذا كنت لا تريد أن تعاني، تعلّمْ عدم الإساءة**». إنَّ العين الناظرة كُلَّ شيء، عين العناية الإلهيَّة الشاملة لخليقته تعمل مع عدالته الشبيهة به المعصومة، حتّى ولو بدا الأمر غير قابل للفهم.

إنَّنَا نقترب، شيئًا فشيئًا، من الوقت الذي سيبدأ فيه ظهور عجائب مُدهشة ومذهلة بقصد جَرِّ الناس البائسين **إلى الهلاك**، أولئك الذين يرون الأمور مِنْ منظار بشريّ، فيُجذَبون بتلك المظاهر العجائبيَّة ويهلكون بها.

نعم، **سيأتي المسيح الدجّال**، ولكن كيف يجب أنْ نواجه حضوره؟

١) بالإيمانِ الحيِّ الحارِّ:

يولد الإيمان الحيّ **بالمسيح يسوع** داخلنا كلَّما تغذَّت نفوسنا **بكلمة الله**، فالإيمان واسطة به نرى الله: «وبالإيمان ترك مصر (موسى)... لأنّه اصطبر كأنَّهُ يعاين الذي لا يُرى» (عب ١١: ٢٧). فعندما تنتعش نفوسنا بالإيمان الحيِّ نستطيع عندئذ، أنْ ندركَ شيئًا من العقائد الإلهيَّة البعيدة المنال عن أفهامنا، فلا تبقى مخفيَّة تحت حجاب كثيف لا يمكن خرقه.

لا يحتاج الإيمان الحيُّ البتَّةَ، إلى علاماتٍ تؤيِّده، لأنَّهُ هو عينه مليء بعجائب **المسيح**. والحقيقة إنَّ **المسيح كلمة الله**، الذي هو، بحدِّ ذاته، المعجزة الكبرى التي كلَّلت معجزاته كلّها (من خلال سرِّ التدبير الإلهي). إنَّ الرغبة التي تحدُونا لرؤية العجائب ما هي إلَّا دليل على عدم إيماننا، ولذلك أُعطيت لنا العلامات لكي نتحوَّل بواسطتها إلى الإيمان. ولذلك أيضًا، علينا **الالتصاق بالرَّبِّ بكلِّ ما أوتينا من قُوَّةٍ، والاتِّحاد به مِنْ دون أدنَى انقسام داخليّ**، وعند ذلك لا تَقوَى علامات **ضدّ المسيح** أنْ تجذبَ انتباهنا إليها على الإطلاق. والأمرُ الأهمّ هو إبداء **لامبالاتنا**، إنْ لم نقل ازدراءنا، لهذه العلامات، تمامًا كما نفعل عندما يصادفنا عمل وقح مُشين، أو عملٌ يُضادُّ وصايا الله، أو قول تجديف على القُدسات، أو أيُّ عملٍ أو قولٍ آخر يسبب لنا الموت الرُّوحيّ.

ودعونا نتذكَّر في هذا المجال **أقوال آبائنا النسّاك النابعة من خبرتهم الروحيَّة العميقة** بأنَّ ظهور الشياطين لها تأثيرات قَويَّة، حتّى إنَّ أقلَّ اهتمام بها، أو عدم ضبط النفس أمامها، كفيلٌ بإحداث ضررٍ كبير في النفس إذ تثيرها وتَميِّجُها وتوقِع الإنسان في تجارب صعبة.

٢) بالتواضع:

التواضع فضيلة لا يمكن فصلها، ولا بأي حال من الأحوال، عن الحياة الروحيَّة الأصيلة، **فالقدّيس إسحق السوريّ** يقول: «فقط من يملك فضيلة التواضع يمكن أنْ يُدْعَى روحِيًّا (روحانيًّا)، وأمَّا من هو بعيد عنها لا يمكن أبدًا، أن يسمّى روحيًّا (روحانيًّا)». يشير الإيمان الحيّ إلى حضور الله في النفس، فمن يرى الله داخله، لا بُدَّ له أنْ يحسَّ **بتفاهة قيمته الشخصِيَّة وحقارة شأنه**، فيشمله عندئذ توق شديد نحو الله وتطبيق وصاياه، وهكذا يبدأ مسيرته الرُّوحيَّة بالتواضع. فالمتواضع لا يتجرّأ، البتَّة، على الاهتمام أو الانشغال بأمرٍ مهما بدا بسيطًا خارج إرادة الله. لهذا، فعلامات **ضدّ المسيح** تبقى غريبة عن المتواضع وبعيدة عنه كُلَّ البُعْدِ، فهو لا يقبل أنْ تكون له علاقة بها، بل هو يرفضها رفضًا قاطعًا.

٣) بالسَّهَرِ والصَّلاة:

عندما نتأمَّل ضعفنا وتفاهتنا، لا بُدَّ لِذِهْنِنَا عندئذ، مِنْ أنْ يتَّجهَ نحو الله، نحو عظمته، نحو قدرته الكلِّيَّة، نحو صلاحه اللَّامتناهي، فيشتعل فينا حينئذ الشَّوق العارم للصلاة إليه والتحدّث معه، ويتجمَّع رجاؤنا كلُّه في خيريَّته. مِنْ هنا كانت الأهميَّة بالغة بعدم الانشغال بأيِّ أمرٍ أثناء الصلاة، إذ لا شيء له أهميّته إزاءها، فصلِّ إذًا، **بكلِّ قلبك ونفسك وذهنك**، واطلب من الله لِيَمُنَّ عليك بموهبةِ الصَّلاة المستمرَّة.

لا شَكَّ أنَّ أيَّامَ **ضدّ المسيح** ستكون أيَّام ضيقٍ وَشِدَّةٍ لا سِيَّما للمؤمنين، الذين سيطلبون مِنَ الله المعونة والعضد والنعمة الإلهيّة. **فقوَّة الإنسان**، مهما كان مؤمنًا بالله، تبقى غير كافية لتقاوم **قُوَّةَ الشياطين والبشر** المجتمعة عليه، الذين سيستَخدِمُون ضدَّهُ كُلَّ الوسائل والأساليب بقساوةٍ لا تنثني ولا تلين، لكونهم باتوا يشعرون بقرب نهايتهم: «مِنْ أَجْلِ هذَا، افْرَحِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ! عَالِمًا أَنَّ لَهُ زَمَانًا قَلِيلًا». (رؤيا ١٢: ١٢). ولكنَّ النعمة الإلهيَّة ستظلّل مختاري الله، فتبقى تهديدات **ضدّ المسيح** كلِّها عديمة النفع وغير فعَّالة وبلا نتيجة تُرجى، وحتّى عجائبه ستكون **مزدراة مرذولة**. وعندئذ، سوف يمدُّ **الرَّبُّ** عبيده الأوفياء بِقُوَّة لكي ينذروا بشجاعة ورجولة بأنَّ **يسوع المسيح** هو مخلّص العالم. كما سيخبرون عن **ماسيًا الكذَّاب** بأنَّهُ سوف يأتي، ولكنَّه **سيجلب معه الهلاك**، وسيقود تابعيه

إلى المشنقة، كيهوذا آخر، أيْ إلى الموتِ، وأمَّا المختارون فيشعرون وكأنَّهم متربِّعون على عرشٍ ملوكي، يتغَّذون بغذاء سماويّ عُرْسِيّ. إنَّ محبَّة الله هي أعذب من الحياة نفسها، فالمحن والرزايا محبّةً بالمسيح، وحتّى الموت من أجله هي بداية الفرح الفردوسيّ الأبديّ. وهذا ما ظَهَرَ جَلِيًّا مع شهداء القرون الأولى للمسيحِيَّة، هؤلاء الشُّهداء الذين نالوا قُوَّةً علويّةً، فتقدَّموا إلى العذابات بشوقٍ وَوَجْدٍ، مستعذبين الاستشهاد والموت من أجل معشوقهم المسيح.

لقد سبقَ الرَّبُّ وأنبأنا بوقوع الآلام والضِّيقات التي ستسبق مجيئه الثاني، وأوصى تلاميذه بأنْ يسهروا ويصلُّوا قائلًا: «اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ.» (مر١٣: ٣٣). الصلاةُ حاجةٌ ماسَّة للإنسان، وهي دائمة النفع له، لأنَّها تحفظه في وصالٍ مستمرٍّ مع الله، وتضعُهُ تحت جناحَي حمايته. إنَّها تصونه من محبَّة الأنا والاعتماد على النفس **والانحراف نحو الكبرياء والمجد الباطل ومن الأفكار التي تبذرها في أذهاننا الأرواح الشرّيرة، والتي تتبعها السقطات الفظيعة.** ولكنَّنا نحتاج إلى الصلاةِ، أكثر فأكثر، إبَّان الآلام والمخاطر المنظورة وغير المنظورة، فتجعلنا نتخلَّى عن اعتمادنا على ذواتنا، وتترجم قُوَّة ثقتنا ورجاءَنَا بالله، وتجذب إلينا معونة الله الكلِّيِّ القدرة التي تخرجنا، بطريقة عجائبِيَّة، من مواقف صعبة نحن غارقون فينا.

إنَّهُ لخطأٌ فادحٌ أنْ يطلب الواحد منَّا أنْ يرى علامات مِنَ السماء يصل بواسطتها إلى معرفةِ اللهِ. يطلب هذه العلامات عادة، مَنْ يعتمدون على فهمهم البشريّ المادِّيّ، فالمعرفة الإلهيّة والإيمان الحيّ والتواضع المبارَك والصلاة النقيَّة كلها تقودنا إلى معرفة الله معرفة حقيقيَّة، ويحبكون لنا نسيج الحياة الروحِيَّة، ويعكسون لنا المنطق الروحيّ. وعلى العكس، **فالجهل والشَّكُّ وعدم الإيمان وعمى الرُّوح والكبرياء والاعتماد على الذَّاتِ وحبِّ الأنا** يُعَزِّزون المنطق البشريَّ المادِّيَّ، فيُمْسِي أصحابهم **عاجزين** عن معرفة الله، لأنَّ المفهوم البشريَّ لا يستطيع أنْ يعرف الله ولا يقبل تاليًا، الوسائل التي يستعملها، والتي تقود النفس إلى معرفتِهِ.

*عن اليونانيّة من كتاب العجائب والعلامات.

في الوسائط الشافية من الخطايا

نقلها إلى العربية راهبات دير مار يعقوب الفارسي المقطع، دده – الكورة

لا فائدة للمريضِ مِنَ الطبيبِ إذا عَرَّفَهُ بأسماءِ مرضِهِ وجروحاتِهِ دون أنْ يُعْطِيَهُ دواءً شافيًا لهذا المرض ولهذه الجروح. وبما أنَّ الخطايا هي أمراضٌ وجروح للنفس، يجب علينا أنْ نستدلَّ على الأدوية الشَّافية منها، أو على الأسلحة اللازمة لدفع الأعداءِ الجارحة، لأنَّ قتالنا ليس مع لحمٍ ودمٍ، بل مع **أبالسة شرِّيرة وغير منظورة.**

١) **فالدواء الأوَّل** هو أنْ نتذكَّر الخسائر التي تتأتَّى عن الخطيئة، لأنَّ مَنِ ٱفتكر بهذه الخسائر لا يمكن أنْ يلبث قلبه قاسيًا، ونفسه عادمة الحِسّ، وألَّا يخاف من الخطيئة ولا يبغضها.

٢) أُذكُرْ شَرَفَ نفسك التي خُلِقَت على صورة الله ومثاله، والتي طالما هي بعيدة عن الخطيئة تكون بَهِيَّةً حسنةً ومجمَّلةً بالنِّعَمِ الروحِيَّة، حتى أنَّ خالقَها ومبدِعَها يفرحُ ويسرُّ أنْ يسكن فيها، والملائكةُ تَعْجَبُ بها. ولكن وبسبب الخطيئة يبتعد الرَّبُّ عنها فيدخل فيها **الشيطان ويصيّرها دنسة رجسة** حتى أنَّهُ لو تَمَكَّنتَ أيُّها الخاطئ مِنْ رؤيتها بهذه الحالة لارْتَعَدْتَ وارتعبْتَ مِنْ نَفْسِكَ لا محالة.

٣) أُهرُب من أسباب الخطيئة وظروفها، أي المعاشرات الرَّديئة والاستكثار مِنَ الغِنى والأحاديث الباطلة. إبتعد عن الأماكن المُضِرَّةِ للنفسِ، لئلَّا تسمع كلامًا خارجًا عن اللياقة، أو ترى أمورًا تجرح نفسك الرَّقيقة. فمن **لا يحذر هذه الأمور** يُحسَبُ متهوّرًا أو موجودًا في خطرِ السُّقوطِ في **هُوَّةِ الخطيئة**، كسقيمٍ واقفٍ على حافَّةِ حُفْرَةٍ يحاول **العدوُّ** أنْ يرميه فيها.

٤) واظب على سِرَّيِ التوبة والمناولة لأنَّهما دواءٌ من صُنع ربّنا يسوع المسيح نفسه للشفاءِ من الخطايا، وللحذَرِ منها في المستقبل، وهما أعظم إحسان نستمدُّه مِنْ ناموس النعمة وينفعاننا في كُلِّ وقتٍ، وخاصة لدى **الشُّكوك والعثرات**، يجب المبادرة إلى سِرِّ الاعتراف وفيه تجد قُوَّةً لمقاومة الخطيئة بثبات، وتحصل على أوفر نعمة، فضلًا عن سماعك مشورة حميدة، ورأي صائب مِنْ أبِ الاعتراف إذا كشفت له كُلَّ أفكارك.

٥) إجتنب الكسل والتهاون اللذين منهما تتولَّد الرَّذائل. **الكسلان** يشبه حقلًا غير مفلوح يُنْبِتُ **شوكًا وعوسجًا**، ولهذا قالت الحكمة إنَّ الكَسَلَ عَلَّم الناس شرورًا كثيرة. فَثَقِّف أنتَ أرضَ نفسِكَ العقليَّة بأفكارٍ صالحة، وأعمالٍ حسنة لتأتي بثمر جيّد ولا **تُنْبِتُ زؤانًا**. أَشْغِلْ عقلك دومًا بأمورٍ روحيَّة حتى لا يجد **العدوّ** فرصة لمضرَّتِكَ، لأنَّ العقل دائم الحركة ويدور كدولاب الطاحون، فإذا كُنَّا لا نضع فيه قمحًا جيّدًا يرمي فيه **الشيطان حصىً ويلهبه بلهيب الشهوات الرديئة. داوم على الصلاة وقراءة الكتاب المقدّس**، لأنَّكَ بهذا يستنير عقلك، وتنجلي الحقائق أمامك، وتُقوّي إرادتك على **عمل الفضيلة والتقوى.**

٦) افحص ذاتك كُلَّ ليلة كيف أَجَزْتَ نهارَكَ. فإن كنتَ قد وقعت في خطيئة مِنَ الخطايا فَٱبْكِ أمام الله، ووبِّخ ذاتك، وانْدَم على ما فعلتَ، واطلبِ الصَّفحَ مِنَ السيِّد بخشوعٍ وتوبةٍ خالصةٍ، فتنام مرتاحًا وتنال فَرَحَ النَّفس والابتهاج الرُّوحيّ.

٧) الدواء السابع والأخير هو ألَّا **نتشبَّث بالعالم وأباطيله**، ولا نلتفت إلى مُغرياته، لأنَّ المحبَّ لله لا يستطيع أنْ يعبدَ ربَّين. ولهذا من لا يبغِض غرور العالم فَلا يكون مُحبًّا خالصًا للفضيلةِ، **وعابد المال** لا يمكن أنْ يكون عابدًا المسيح.

سؤال: هل ينعم بالرَّاحةِ الدَاخليَّةِ مَن لا يعترف؟

الجواب: كيف يكون مُرتاحًا؟

لكي يشعر الإنسان بالرَّاحةِ التَّامةِ، يجب أنْ يطرد مِنْ داخلهِ كُلَّ سوءٍ، وهذا لا يَتِمُّ إلَّا **بالاعتراف**. يفتح قلبه لأبيهِ الرُّوحيِّ **ويقرُّ بذنوبه وزلَّاته** باتضاعٍ، فتُفتح أمامه أبواب السَّماء، لتحلَّ نعمة الله عليه بغزارة، ويتحرَّر مِنْ وقرِ خطاياه.

كما يهتمُّ الإنسانُ المريض بِأَنْ يكون دومًا على اتصال وثيق بالطَّبيب، هكذا على مَنْ يريد أنْ يكون ذا صحة روحيَّة سليمة، أنْ يكون دومًا على اتصال وثيقٍ بأبيه الروحيِّ.

مهما كان الإنسان ذا مستوى روحيّ سامٍ، ومهما استطاع أنْ يُنظِّم أموره الروحيِّة بنفسه، لا يستطيع أنْ يجد راحة تامَّة إلَّا باللجوءِ مِنْ وقت لآخر إلى الاعترافِ، لأنَّ الله يشاء أنْ يُصلِح الإنسانَ إنسانٌ آخر مثله. إنَّهُ تدبيرٌ إلهيٌّ يقود الإنسان إلى الاتضاع.

لا يُثمر الإنسان الرُّوحيُّ ثمارًا روحيَّة إلَّا **بالاعتراف الصحيح**، لأنَّهُ بواسِطَتِهِ يَطْرُدُ مِنْ نفسِهِ كُلَّ ما هو غيرُ مفيدٍ.

مِنْ ضروريّات الحياة اليوم أنْ يلجَأَ المرءُ إلى أبٍ روحيٍّ لكي يعترف ويَسْتَرشِدَ بِهِ. يجب على الآباء الرُّوحيِّين أنْ يضعوا لأبنائهم **برنامج حياة روحيَّة مِنْ صلاةٍ ومطالعة، ومداومة على حضور الخِدَم الكنسيّة ومناولة الأسرار المقدّسة**، لأنّهم بهذا يحفظون أولادهم الرُّوحيِّين مِنَ الضياع، وهؤلاء يحيون حياة مطمئنَّة دون قلقٍ أو خوفٍ.

مَنْ ليس له أبٌ ليُرشِدَهُ في مسيرته الرُّوحيَّة يعش قَلِقًا تَعِبًا، وبصعوبة يصل إلى هدفه المنشود. وإنْ أرادَ حَلَّ مشاكله بنفسهِ، فإنَّهُ، مهما كان متعلِّمًا، فإنَّ **روح الكبرياء والاعتداد بالذَّات** هي التي تُحرِّكُهُ، لذلك يبقى في **تخبُّط وظلام**. وأمَّا مَنْ يقصد أبًا، بروحِ التواضع ونُكران الذَّات، ليسأل نُصْحًا وإرشادًا يُساعَد، لأنَّ الله سوف يمنح الأب الروحيَّ، بدون شكٍّ، البصيرة ليعطيه الجواب والحلَّ الملائمين.

مِنَ الأفضل جدًّا أنْ يكونَ للزوجَيْنِ أبٌ روحيٌّ واحد. لأنَّهُ باختلاف الآباء تختلف أيضًا الآراء، وقد يخلق هذا جوًّا من التوتر بين الطرفين. وأمَّا الأب الواحد فإنَّهُ يعرفهما كليهما ويصلِح أخطاءهما، فتُحفَظ بهذا دَفَّةُ حياتهما ومسيرها بدقَّةٍ وبشكل صحيح.

مَنْ لا يقبل مَلْحوظاتِ أبيه الذي يحبُّه فإنَّهُ مِنَ الواضحِ، لا يستطيع أنْ يفيدَ نفسه بنفسه مهما كان حاذقًا.

إنْ لَمْ نُنَظِّفْ أنفسَنَا **بواسطة الاعتراف**، عندما **نتمرَّغ في أوساخ الخطيئة**، فإنَّنَا نضيف إلى طيننا طينًا آخر، وعندئذ، تَصعُب عمليَّة التنظيف وتتعذر جدًّا.

عندما يكون **الأب الروحيّ مستنيرًا** يفهم ويميِّز الحالات بعضُها مِنْ بعضٍ، ويمنح النصائح والإرشادات كما تقتضي كُلُّ حالةٍ. لا يحتاج المرءُ إلى ساعات طِوالٍ وإلى كلام كثير لكي يعطي صورة واضحة عن نفسه إنْ كان ضميره حيًّا، ويعمل بشكلٍ صحيح. ولكن إنْ كان داخله مشحونًا بالقلَقِ، فإنَّهُ لو تكلَّم ساعات فلن يُعطي الصورة الواضحة عن نفسه.

عندما نُخطئُ إلى إنسانٍ، فَما علينا أنْ نطلب منه المسامحة ونصطلح معه قبل توجُّهنا إلى **الاعتراف** للإقرار بِذَنْبِنَا، لأنَّهُ بهذا فقط تحلُّ علينا نعمة الله. أمَّا إذا اعترفنا بخطايانا دون أنْ نكون قد اصطلحنا مُسبقًا مع أخينا، فلن نجدَ السَّلام الحقيقيّ لأنَّنَا لم نَتَّضِع.

سؤال: لماذا لا يشعر المرء وهو يعترف، بنفس الألم عندما يقترف الخطيئة؟

الجواب: قد يكون قد مَرَّ زمنٌ طويل على اقتراف الخطيئة، واندمل الجرحُ ونسينا خطيئتنا. أو يكون الإنسان قد برَّر نفسه أثناء الاعتراف. لذلك أُشير عليك أنْ أَسْرِعْ إلى الاعتراف ولا تُؤَجِّلْ، واحذر ألَّا تُبرِّر ذاتك مُطلقًا، لأنَّ مَنْ يعترف ويبرِّر ذاته لا يلقى الرَّاحة الداخليَّة عكس مَنْ يؤنِّب نفسه ويلومُها، فإنَّه يشعر بغبطة داخليَّة كبيرة بسبب ضميره الحيّ.

كُلُّ أبٍ روحيٍّ لا يكون مستعدًّا لأنْ يذهب إلى الجحيم، إنْ اقتضى الأمر، محبَّةً بخلاصِ أبنائه الرُّوحيِّين لا يسمَّى أبًا روحيًّا.

بالاعتراف الصحيح يُمحى كُلُّ الماضي، وينفتح باب جديد للحياةِ، وتحلُّ نعمة الله لتغيِّر الإنسان بجملتِهِ، ويختفي الاضطراب والحزن ويحلُّ الهدوء والسَّلام، ليس داخليًّا فقط بل وخارجيًّا أيضًا إذ ينعكس سلامه على تصرُّفاته وسَكَنَاتِهِ. لقد أشرتُ مرَّةً على البعضِ بأنْ يلتقطوا لأنفسهم صورًا فوتوغرافيَّة قبل الاعتراف وبعده، ليروا بأنفسهم التغيُّر الحاصل على ملامحهم، لأنَّ الوَجْهَ يعكس حالة الإنسان الداخليَّة. نعم إنَّ أسرار الكنيسة تصنع العجائب، فَكُلَّما اقترب الإنسان مِنْ **يسوع المسيح الإله والإنسان** ، تألَّه وَشَعَّ بالنعمة الإلهيَّة.

إنْ أرادَ أحدٌ أنْ يعيشَ حياةً روحيَّةً حارَّةً تحت إرشادِ أبٍ روحيٍّ مختبَر يَذُقْ طعم الفرح العلويِّ الرُّوحيِّ والسَّماويِّ، ولا يَعُدْ يهتمُّ في ما بعد بالأمور الأرضيَّة الماديَّة الجسديَّة.

النَّقْبُ حولَ ما هو غير مُثْمِر

✝ نقرأ في إنجيل لوقا: «وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: «كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا! لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضًا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا». (١٣:٦-٩).

✝ كثيرًا ما يسمح الله بِأَنْ نبلغ الإحباط حتى «ينقُب» الله حول نفوسنا العقيمة لِتُعطي ثمرًا له. إنَّه ينقب حولنا، محاولًا أنْ يبنيَ أساسًا يقيم عليه الكاتدرائيَّة التي يرغب أنْ يقيمَها في حياتنا.

وفيما بعد، قد تعلَّمتْ أنَّكَ أيُّها الرَّبُّ موجود في الأعماق المظلمة الواطئة، وجميع الذين يجدونك ينتقلون إلى المرتفعات السامية والمتألِّقة. (م. مورجيريدج *M. Murggeridge*)

لا تَشُكَّ أبدًا في مَحبَّةِ اللهِ

✝ سقطَ فتى وانكَسَرَ ظهره، وكان له مِنَ العُمر خمسة عشر عامًا، وظَلَّ مُلازمًا الفِراش لمدَّةِ **أربعين عامًا**، كان يتحرَّك فيها بصعوبة شديدة، ولم يكُن يعبر عليه يوم دون أنْ يَلُمَّ به أَلَمٌ مُبرِّحٌ. أمَّا هو فكان مسيحِيًّا حقيقِيًّا، وكان يجدُ في نعمةِ اللهِ الكافية لكُلِّ احتياجاته. أتاهُ كثيرون مِنْ رفاقه ليزوروه. إذْ كانَ طبعه البَهِج ومزاجه الفَرِح وحُبُّه الشديد للهِ يملأ قلوبهم بشجاعةٍ جديدة.

سأله صديقٌ يومًا: « أَلَمْ يُجَرِّبْكَ الشَّيطان أبدًا كي تَشُكَّ في اللهِ».

فأجابه: «نعم، كم جرَّبني كي أتساءل أين هي عنايته، مِنَ العسير عليَّ أنْ أكذب بينما كنتُ أرى رِفاق الدراسة وهم يقودون عرباتهم الفخمة، ويقضون أوقاتًا طيِّبة مع ذويهم. وكان الشَّيطان يهمس في أُذني أحيانًا: إنْ كان اللهُ صالحًا إلى هذا الحدِّ، فلماذا يتركُكَ في هذا المكان؟ لماذا سَمَحَ بِكَسْرِ ظهرِكَ؟».

فسأله الزَّائر: «وماذا كنتَ تفعل عندما كان العدوّ يبذر بذور عدَم الرِضا هذه؟».

أمَّا المريض البَطَل المنتَصِر فقد هتَفَ قائلًا: «لقد وجدتُ طريقًا عجيبًا أتعامل به معه. كُنتُ أُشير إلى الجلجثة وأُرِيهِ جراحات مُخَلِّصي. وأقول له: أُنظر كم يُحِبُّني! فكان العدوّ يعجز عن الرَّدِّ عليَّ وَيُوَلِّي مُدبِرًا».

● «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟». (رو ٨:٣٢).

كُنتُ أُشير إلى الجلجثة وأُرِيهِ جراحات مُخَلِّصي. وأقول له: أُنظر كم يُحِبُّني!

آلام مُخَلِّصة

✝ يستخدم الله الآلام والأوجاع لِتُنَظِّف الصدأ في حياتنا، لِتُعَلِّمنا أنْ نتَّكِل ونعتمد عليه، ونركَن إليه وحده. إنَّ أعظم خلاص لنا نناله مِنْ إيماننا بالقيامةِ. فكما أقام اللهُ الآب يسوع، هكذا سوفَ يُقيمنا. وهذه هي أعظم حقيقة للإنسان المسيحيّ – وليست الآلام.

✝ وكما يقول القديس بولس الرسول: فإنَّه ليس وجه المقارنة بين : «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا.» (رو ٨: ١٨).

● **قالَ ألبيرت شويتزر Albert Schweutzer**

أُنظر إلى الوراء إلى تلك الساعات التي مرَّت في حياتك في هدوء وقناعة، إلى الساعات السعيدة وأوقات البهجة ...

إنْ كانت كُلّ حياتك ساعات متتالية مثل هذه، هل تعلم ماذا كنتَ سوف تؤول إليه؟

سوفَ تصير أنانيًّا، قاسي القلب، وحيدًا، غير متطَلِّع إلى الأشياء الأسمى، إلى النقاوة، إلى اللهِ، ولن تشعر أبدًا بالسعادة.

متى لاحَ لكَ للوهلةِ الأولى أنَّكَ لا تعيش لنفسِكَ؟ **في الآلام.**

متى نِلتَ بركَة الشفقة والحنان ؟ **في الآلام.**

أين اقترب قلبُكَ من أولئك الذين كانوا بعيدًا عنكَ وفاترين في علاقتهم معكَ؟ **في الآلام.**

أينَ تحقَّقت أوَّلًا بركة وجود أبٍ سماوي لك؟ **في الآلام.**

يا إلهي! إنَّني لم أشكرك أبدًا على شوكتي، لقد شكرتُكَ آلاف المرَّات على زُهوري ولم أشكُرْكَ ولا مرَّة واحدة على شوكتي. كنتُ أتطَلَّع إلى عالَمٍ حيثُ أجد فيه تعويضًا لِصُلباني، ولم أُفكِّر أبدًا في أنَّ الصليب هو نفسه مجدٌ حاضر. أيُّها الحُبّ الإلهي! يا مَن حياتك البشريَّة تكمَّلت بالآلام، عَلِّمني قيمة شوكتي ... وعندئذ فقط سوفَ أعلم أنَّ دموعي قد كَوَّنَت قوسَ قُزَحِي، وسوفَ أستطيع أن أقول: «خيرٌ لي أنَّكَ أذللتني» (مز١١٨:٧١) **د.د. ماثيسون D.D. Matheson**

حين أنظرُ تلكَ الأيام التي مرَّت بدونِ تعليم، وأنظر نفسيَ مضطرًّا إلى السّكوتِ بسبب المرضِ، أشعرُ بالضّيقِ والانزعاج، كمثلِ رياضيٍّ على أتمِّ الاستعداد، يُحرمُ مِنَ الدُّخول إلى الملعب ليشارك في المباريات.

كنت أراكم جائعين للغذاء العقليّ، وأنا عاجزٌ عن العطاء.

كنت أرى الوقتَ وقتَ تجارةٍ، ونفسي غيرَ قادرةٍ أنْ تبرمَ معكم ولا صكًا واحدًا.

كنت أرى الصَّيدَ وفيرًا، والصَّيَّادَ هِمَّتُهُ على الصَّيدِ ضعيفةٌ. لكنني في معاناتي الشَّديدة لأجلِ هذا، كنت أعتبرُ أنْ أضيفَ على حالي الآلام فأستطيع أنْ أعاود الكنيسة وأشارككم القُدَّاس التالي، أفضلَ مِنْ ملازمتي الفراش فأنفصلُ عنكم ثانيةً ، مُنهكَ القوى ليومين أو ثلاثة.

لهذا آتيكم اليوم، بنعمةِ **الرَّبِّ** وَمُعْرِضًا عن الأحاديثِ اليوميَّة، لكي أُؤَدِّي واجبي تُجاهكم. هَلُمُّوا إذًا لنجذب قاربَنا **في بحرِ توبةِ أهلِ نينوى**.

لكلِّ فئةٍ مِنَ النَّاسِ ما يفيدها مِنَ الكلام، أمَّا علاج التَّوبة فأظنُّه مفيدًا للجميع. وحيث ما مِنْ أحدٍ معتقٌ مِنَ الخطيئة، بالتَّالي لا أحدٌ بغنًى عن التَّوبة. ولطالبيها، يبدو مِنَ الضروري ذكرُ مثالِ الَّذينَ خلُصوا بالتَّوبة، لعلَّه (المثال) يدخلُهم بنفس الوسيلة إلى الصِّحَّة.

لِنَرَ مَنْ شابهوا الوحوش يُدركون رتبة الملائكة.

لِنَرَ الذين دَمَّرُوا المدينةَ بأعمالهم يعيدونَ بناءَها بطريقةٍ فلسفتهم (حياتهم).

لنرَ أعداءَ الله يصيرون أصدقاءَه، والّذين كان السَّيدُ متَّهِمًا لهم قبلًا، يقتنونه فيما بعد محاميًا عنهم.

لنرَ المحكومَ عليهم يَسْعَوْنَ لدى القاضي بعد صدور القرار، فيُسقِطُون الحكم.

لنرَ **الله** كاذبًا لأجلِ محبَّتِهِ للبشَرِ.

سمعنا قبلًا كيف أنَّهُ حالما نادى النَّبيُّ اضطربتِ المدينة. وكما يضطَّرب البحرُ مِنْ ريحٍ عاتية، هكذا كانَ وقعُ سقوط صوتِ **يونان**، فسبَّبَ **لشعبِ نينوى** جزعًا وَرِعْدَةً.

سمعنا أنَّ المدينة لدى استقبالها النَّبأ لم تسقط في اليأس، بل نشطت إلى التَّوبةِ، وبينما لم يكن لها دالَّةٌ للخلاصِ، شرعت في عبادةِ **الله** ومصالحته. يا تُرى ماذا فعلت مِنْ أجلِ المصالحة؟

قد قيلت في ذلك شذرات، أمَّا أنا فعليَّ أنْ أُعطيكم القولَ كُلَّه: لأنَّهم «**نادوا بالصِّيام، ولبسوا المِسْحَ مِنْ صغيرهم إلى كبيرهم.**»

يا للعجب الغريب، المُخيف للإنسان، والذي تتوق إليه الملائكة!

تأمَّلْ لخاطري، هذه الرُّبوات الكثيرة مِنْ أولئك الرِّجال مع النساء والأولاد يلبسون المُسوحَ **حادِّين** لأجلِ الشَّيءِ نفسه. كلُّ المهَنِ تتعطَّل وكلُّ عملٍ بشري، لا أحدٌ في أيِّ مكان يقومُ ولو بعملٍ واحد. حُزْنُ الجميع مع ضجيجٍ وصراخ يرتفع إلى السَّماء.

تأمَّلْ زوال التّمايز بين الأسياد والعبيد، بين الرّؤساء والمرؤوسين. هوذا الملك حاضرٌ في وسطِ الجموع بمظهرٍ مماثلٍ لها يُرَتِّبُ الخدمةَ العبادِيَّة **للهِ** وكأنَّها تنظيمٌ عسكري.

يقول الكتاب: «وصلَ الكلام للملكِ فنهضَ عن عرشه، خلع بِـزَّتَـهُ، إلْتَحَفَ المُسوحَ، وجلسَ على الرَّماد». **يا لَلْمَلِكِ الحكيم.** الملك بنفسهِ أَوَّلُ مَنْ أعلنَ التَّوبة، وذلك ليجعلَ مدينته بحالةٍ أفضل. لأنَّهُ مَنْ ذا الَّذِي يرى الملكَ نفسَه مُجاهدًا لأجلِ الخلاص ويتراخى مِنْ بُعْدٍ؟

جراحاتُ التَّاج تشفيها المسوح، خطايا العرش يمسحها بجلوسه على الرَّماد، مرض الكبرياء يعالجه بِتَذَلُّلِ المظهرِ، وبالصِّيام يداوي جراحاتِ التَّنعُّم.

ولدى سلوكه في ذلك عمليًّا كان يُنهضُ الجميعَ بندائِهِ، فيسلكوا النَّهجَ ذاته. لأنَّ الكتابَ يقول: «وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً.» (يون ٣: ٧).

هذا تشريعٌ فريدٌ لملك. يوصي المرضى بالصِّيامِ كما لو كانَ طبيبًا. لا بل إنَّ المشرِّعَ الّذي قضى حياته بالمُتَعِ **يُقلِّدُ التعاليمَ الرَّسوليَّة حولَ الصِّيامِ الموقَّر**، ويأمرُ أنْ تُشارِكَ النّاسَ في هذا الصِّيام الحيواناتُ العُجُم حتى بواسطةِ الطبيعةِ عادمةِ الخطيئة، **يُميلُ الله إلى مراحمَ عظمى.**

يقول الكتاب: «وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ» (يونان ٣:٨). يا

لِلْتَّرتيبِ السَّماوي! ياله مِنْ طابورٍ مُرعبٍ **للشَّيطان**! كانَ **الشَّيطان** يقف مُنتحبًا لدى رؤيته كاملَ جيشِهِ يتحوَّلُ نحو الله ويحارِبُ **الشّياطين**.

في هذهِ المعركة أولادٌ ونساءٌ ورضَّعٌ مع الرِّجالِ يحاربون، حتّى طبيعةُ البهائم صارت مشاركةً في صفوف الحرب. فرأى **الشَّيطان** منظرًا جديدًا. فالحيوانات الأهليَّة تَدفع عن الناسِ ضريبةَ البِرّ، وتصومُ من أجلِ خلاصِ مالكِيها «وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً.» (يونان ٣: ٧).

نَحَّى الملكُ شاراتِ السُّلطة جانبًا، وأخذَ دورَ الكهنةِ فانتصبَ متكلِّمًا متفلسفًا، ومؤدّبًا **أهلَ نينوى**.

يقولُ لهم: يا أصدقائي، مخيفةٌ هي الأسواءُ المحيطةُ بنا.

بينما أخضعنا المسكونةَ كلَّها، كأشرارٍ نُسحَقُ بالحكمِ الإلهي.

بينما نحن متملِّكون على جميعِ النَّاس، كآخِرِ الجميع حُكِمَ علينا بالموتِ بطريقةٍ غريبة.

بينما طوَّبَنا الآخَرونَ جميعُهم، سنظهرُ أكثرَهم بؤسًا صائرين للجميعِ أسطورةَ حياةٍ ورواية. فمجدنا السَّابق لم يقدر أنْ يتجاهل سَيِّئاتنا.

يا **أهلَ نينوى**، ربحنا حروبًا كثيرة فلنُجاهدِ الآن بشجاعةٍ أكبر لأجلِ خلاصِنا. مِنْ قبلُ فَعَلنا كلَّ شيءٍ لنصيرَ أسيادًا للآخرين، أمَّا الآن فجهادنا هو ألَّا نَبيدَ مع نسائنا وأولادنا في طَرْفَةِ عين.

لِصَدِّ حَرْبٍ غريبة فلْنحاربْ بطريقةٍ غريبة:

لنَرْشِقِ السَّماءَ بالتَّسابيح، لِنَقْذِفْها بالتراتيلِ بدلَ الرِّماح، لنرشقِ الله بمقلاعِ الصَّلاة، لنُطفئْ غضبَه بدموعنا المستمرَّة، لنمزِّقْ فيلقَ أعمالنا الشِّرِّيرة، لِنَسُدْ على حصونِ الشَّر، ولنحاربْ بأسلحةِ الفضيلة: درعُ البِرِّ لا يجتازه سهمٌ، ترسُ الإيمانِ لا تكسره صاعقة، خوذةُ الرَّجاءِ لا يطيقُ الله سحقها، لا يمزِّقُ الغضبُ العُلْوِيُّ قميصَ العِفَّة، ولا يقوى تهديدٌ بالخراب على هدمِ حائطِ الاعتراف. حُكْمُ الدَّمار يتلاشى كالدُّخان أمام توبةٍ جِدِّيَّةٍ.

هكذا يا أصدقائي، إذا حاربنا بمثلِ هذه الأسلحة، كما غزونا السَّماء، نغزو الأرض.

تشجَّعوا **يا أهلَ نينوى**، تشجَّعوا فمن يقاتلُنا **ملكٌ محبٌّ للبشر**: يطرحُ أعداءه غير آبهٍ بِتَوَسُّلٍ، لكنَّه متى تحوَّلَ غضبُهُ يصبحُ مُحسنًا لأعدائِهِ.

بمثلِ هذهِ الأقوال العزائِيَّة حَفَّزَ الملكُ الشَّعبَ إلى التَّوبةِ، بينما نَفَّذَ الشَّعبُ ما أَمَرَ به ملكُهُم باستعدادٍ تام، إذ يقول الكتاب «وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ» (يونان ٣:٨). لم تكن جاهِزِيَّةُ الكلام مصحوبةً بفكرٍ بالهواء، لم يكن نطقُ اللِّسان مترافقًا بذهنٍ سارح، ولَفظُ الصَّوتِ ما كان يصاحبه عقلٌ جائل، بل الكلُّ معاً كان يعبد الله. (جائل = متجوّل)

أرخى اللَّيلُ سَدَائِلَهُ فزادَ الخوفُ، طُرِدَ النَّومُ، والأهمُّ أنَّهُ عَلَّى التَّسبيح.

أمَّا النهار، فبدوره، أظهرَ السَّماءَ كئيبةً تضربها بروقٌ ورُعودٌ لا تتوقف، الَّذي كان يدفعُ الجميعَ في حالِ رُعْبٍ تفوقُ الحِسْبانَ فصرخوا صراخًا عظيمًا.

الأرضُ تَأَرْجَحَتْ فسبَّبَتْ للنَّاسِ اضطرابًا شديدًا. تراكضَ الأطفالُ جميعُهم إلى حُجُرِ أمَّهاتهم خوفًا، وَبَكَوا في أَحْضَانِهِنَّ ما خَلَقَ لِكُلِّ مَنْ رآهم نحيبًا يَتَعَذَّرُ وَصْفُهُ وَنَوْحٌ.

قِطْعَانُ الأبْقَارِ والأغْنَامِ والحيواناتِ الأخرى، التي قُطِعتْ عن الماء والكَلَإِ، كانت تحرِّكُ الحزنَ في القلوبِ الماسِيَّةِ بأصواتٍ مختلفةٍ أطلقتها. وبينما التَّهديد والخوف مهيمنان، لم يكن يحتمل (الملك) أن يفقدَ الرَّجاء الحسن، إنَّه يقول: «فمن يعرف. ألعلَّ الله يندمُ ويرجعُ عن سخطِ غضبِهِ، فلا نهلك».

مختارات: خواطر كاهن

أومن بإلهٍ واحدٍ آبٍ ضابط الكلّ ....

إنْ كانت قِمَّة جبال إفرست أعلى قِمَّة في العالم، فإنَّ قِمَّة الجلجلة هي أعلى قِمَّةٍ في الفضائل: المحبَّة.

يوجد في إورشليم حائط المبكى، ويوجد في قدس أقداسك (في داخلك) حائط مبكى على هيكلك المهدوم يحث يسكن روح الله.

قطع يهوذا حبل أناة الله الطويل الذي كان يجذبه إلى الأعلى، وتعلَّقَ بحبل اليأس القصير الذي هوى به إلى الأسفل.

مقصلة الاضطهاد تقطع رأس الجسد ولا تمسُّ شريان الرُّوح.

الرَّهبنة موت والخطيئة موت. الأولى تلد حياة، وأمّا الثانية، فتلد موتًا فموتًا.

كثيرون امتطوا جواد الأحقاد عازمين على تعذيب المسيحيِّين فرجعوا حفاة الأقدام حاملين صليب إله المسيحيِّين.

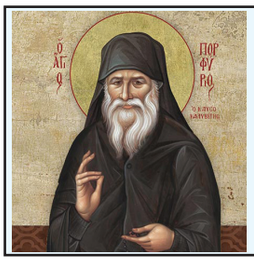

والآن يريد الرُّوح القُدُس أنْ يدخل نفوسنا، تمامًا كما كان الحال في ذلك الوقت، لكنه يحترم حُرِّيتنا، ولا يريد أنْ ينتهكها.

إنَّهُ ينتظر أنْ نفتح له الباب بأنفسنا ثم يدخل إلى روحنا ويحولها.

عندما يأتي المسيح ويسكن في كامل مساحة روحنا، فإنَّ كُلَّ المشاكل، كُلَّ الأوهام، كُلَّ الأحزان تختفي.

ثم تزول الخطيئة أيضًا.

القديس پورفيريوس - كافسوكاليڤيا

«فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٣٢). هكذا أُعِدَّت الجوائز والعقابات هناك حسب قول المخلِّص الصادق. ولكن لماذا نطلب الجائزة هناك ونحن قادرون أنْ نحصل على المكافأة منه في هذه الحياة بواسطة الرَّجاءِ فقط؟ فإنْ فعلنا خيرًا ولم نحصل على المكافأة منه في هذه الحياة فلا نضَّطرب، لأن المكافأة تُضاعَف لنا في الحياةِ الآتيةِ. وإنْ فعلنا شرًّا ولم نُعاقَب عليه في هذه الحياة فلا نتهاملْ بل يجب أنْ نخافَ من عملنا هذا، لأنَّ القصاصَ الأبديَّ ينتظرنا هناك، إذا لم نُبَدِّل الشَّرَّ بالصَّلاحِ. إذا كان المعترفون **بالمسيح** يَستَحِقُّون المجدَ في هذه الحياة فلنُفَكِّر **في الأكاليل غير البالية التي سيحصلون عليها في المستقبل**. وإذا كان هؤلاء يُمَجَّدون حتى مِنْ أعدائهم ألَا يُعَظِّمُهم المحبُّ البَشَر الذي تفوقُ محبَّتُه محبَّةَ جميع الآباء الأرضيِّين؟ هناك تُعطى الجوائز عن الأعمال الصالحة والعقوبات عن الأعمال الشِّريرة. فكلُّ الذين يرفضون **ابن الله** يعذَّبون هنا وهناك. يُعذَّبون هنا لأنهم يُضْمِرون الشَّرَّ، وهناك لأنَّهم يُدْفَعُونَ إلى العذابِ الدَّائمِ بعد القبر. وبالعكس، فإنَّ الذين يتبعون **المسيح** حقيقةً يحصلون على الفائدة هنا وهناك. هنا، لأنهم يتغلَّبون على الموتِ ويُمَجَّدُون أكثر مِنَ الأحياءِ. وهناك، لأنهم يتمتَّعون بالخيرات التي لا توصف. إنَّ الله مستعدٌ للإحسانِ أكثر مِنَ العقابِ فلا تخشَ الموت، وإنْ لم يَحِنِ الوقت، لأنَّنَا سنقوم لحياةٍ أفضل مِنْ هذهِ بكثير!

وقد تقول أنَّ الجسدَ يَبلَى. إذن، يجب أنْ يكون فَرَحُنَا كثيرًا بهذا لأنَّ لا جوهر للجسدِ. لو لم يبلَ الجسد **لاستولَت الكبرياء** على الكثيرين، **والكبرياء** أعظم الشُّرور. ولما آمن البَشَر بأنَّ الجسد قد أُخِذ من التراب، ومع هذا فإنَّ كثيرين، مع مشاهدتهم حوادث الموت المتكرِّرة، يَشُكُّون في فناء الجسد. لو لم يبلَ الجسد **لاشتدَّ تعلّق الناس به** لأنَّ بعضنا، مع علمِهم بأنَّ الجسد يفنى تمامًا، نراهم يعانِقُون القُبور. فماذا كانوا يفعلون لو قَدِرُوا على حفظ صورة الجسد تامَّةً؟ لما مال الأرضيِّون إلى الحياةِ الآتية، وَلَاسْتَمَرَّ في عنادهم الذين يعتبرون الدُّنيا خالدة غير معترفين بأنَّ الله هو الذي خلق العالم، ولتَرَك الكثيرون مساكنهم وعاشوا في المقابر، وخاطبوا الرَّاقدين كالمجانين بلا انقطاع لأنهم حُرموا الخالد المؤكد. وعلى هذه الصورة، كيف لا تَدخل **عبادة الأوثان إلينا بأنواعها المختلفة؟** ليعلِّمنا **الآب** السماوي الرحيم أنَّ كُلَّ أرضيٍّ زائلٍ يُسلِّطُ الفسادَ على الجسدِ البَشَرِيِّ أَمَامَنَا.

وليس الجمال بالجسد، فإنَّ الجمال الحقيقيّ يتوقَّف **على النُّور الذي تطبعه النفس في الذَّات الإنسانيَّة**. كُلُّ جمالٍ في حياةِ الأرضيّ يتوقّف على النَّفس. فإذا كانت النَّفس فَرِحَةً يتفتح الورد على الوجنتين، وإذا كانت حزينة تنزع الجمال مِنَ الجسد وتُوَشِّح هذا بالسَّواد. وإذا كانت النَّفس في سرور دائم فيكون الجسد أيضًا في الصِّحةِ التَّامَةِ. وأمَّا إذا كانت النَّفسُ في حزنٍ دائمٍ فلا رَيْبَ أنَّ الجسدَ يكون أضعف مِنَ العنكبوت. بغضب النفس يتشوَّه منظر الجسد وبصفاء العينين يزداد رونقًا وجمالًا. إذا استولى الجسد على النَّفس علا الجسد **الشُّحوب** والاصفرار، وإنْ طَفَحَتْ بمحبَّةِ القريب اشترك معها الجسد بالوجْهِ المُشْرِقِ الجميل. ولذلك فكثيرات من النِّساء غير الجميلات الوجوهِ يحصلن على جمال خصوصي مِنْ جمال نفوسهن. وبالعكس، كثيرات مِنْ جميلات الوجوه يُشَوِّهْنَ جمالهن بعدم الجمال في نفوسِهِنَّ. إنَّ الوجهَ الجميل يتورَّد دائمًا بحمرةِ الخَفَرِ (الخَفَرُ = خَجَلُ المرأة). أمَّا الوجه الذي يعرف الحياة فهو أقبح من الوحوش. لأنَّ النَّفس الخجول تحيل هيئة صاحبها وادعة محبُوبَةً. فمحبَّة الجمال الجسدي مُحزنة مُضحكة معًا، وأمَّا محبَّة الجمال الرُّوحاني فمتَّحدة باللَّذة الطاهرة المنعشة.

الجسد كالوجه المستعار يستر النَّفس فيكون حسب ما تكون عليه. فإنْ كانت قبيحة فسرعان ما تصير جميلة إنْ شاءت. لنفتش أيضًا عن الجمال الداخلي، عن جمال النَّفس، حتى **يرغب السَّيد** في جمالنا **ويهبنا** الخيرات الأبديَّة بنعمة **سيدنا يسوع المسيح** ومحبته للبشر الذي له المجد والسلطة إلى الدهر، آمين.

إذا أخذك المرض، فلا تيأس أو تسقط بالرُّوح، ولكن اشكر الله أنَّه مِنْ خلال هذا المرض يوفر لك أنْ تكتسب شيئًا حسنًا... إذا شعرت أنَّ روحك مضطربة بسبب مرضك، فقل لها: أليس هذا المرض أسهل مِنْ جُهنَّم، حيث ستذهبين إنْ لم تكوني ثابتة ومجالِدة في الصبر؟.

من أقوال الأنبا أشعياء

معجزة جديدة للقديس نكتاريوس العجائبي

كانت إحدى القُرى الصغيرة في رومانيا من دون كاهن، وكان المقيمون قد ذهبوا كثيرًا إلى البطريرك مطالبين بتغطية الفراغ. ولكن **البطريرك** لم تكن لديه وسيلة لتلبية الطلب. وقد عاد القرويُّون مرارًا وتكرارًا ولكن رَدُّ **البطريرك** كان دائمًا نفسه، أيْ أنَّهُ لم يكن لديه أيُّ كاهنٍ إضافيّ ليرسله إلى القريةِ. وقد كان الناس يُدْفَنون من دون جُنَّاز وآخرون متزوِّجون ولديهم أطفال من دون إكليل، فيما الأطفال والبالغون على حدٍّ سواء غير معمَّدين.

وفي أحد الأيام، توقَّفت سيارة خارج الكنيسة، ونزل منها كاهن ينادي أهل القرية الذين كانون منذهلين. توجَّه أهالي القرية إلى الكنيسةِ للترحيب بالكاهنِ وسألوه «كيف أتيت إلى القرية وقد قال لنا **البطريرك** أنَّهُ لا كاهن عنده ليرسله إلينا؟».

فأجاب الكاهن: «أليس هذا ما كنتم ترغبون به؟ أنت تتمنون الكاهن؟ والآن أتى واحد».

كان جميع القرويين سُعداء بوجود الكاهن الجديد الذي بدأ العمل على الفورِ. فذهب إلى القبورِ وقرأ الأفاشين وأقام جنازًا وصلاة. كما عمَّد كُلَّ مَن في القريةِ وزوَّج وأقام القَداديس. ثم في أحدِ الأيام، دعا جميع القرويين إلى الكنيسة وقال لهم: «الآن ينبغي أن أغادر، لقد أتممت مهمتي».

شعر القرويون بالحزنِ والتَشوُّش مما أعلنه لهم، وسألوه: «الآن بعد أن جئت، أتترك وتذهب؟» وطلبوا منه البقاءَ. لم يغيِّر الكاهن رأيه، وشرع بتنفيذ قراره. عندما أدرك القرويون أنَّ ما بيدهم حيلة شَكَرُوه.

بعد أيامٍ، توجَّه القرويون إلى **البطريرك** وشكروه لإرساله الكاهن وقالوا له أنهم يكونون ممتنين لو تفضَّل وأرسل لهم كاهنًا آخرَ في وقتٍ قريب. ولكن **البطريرك** لم يكن يعرف عمَّا يتكلَّمُون. فقال لهم:

«أنا لم أرسل أيَّ كاهنٍ لأنَّني ما زلت بلا أي واحد إضافي. ولكن اسمحوا لي أنْ اتحقق مع الوكيل لمعرفة ما إذا كان هو قد أرسل كاهنًا لخدمة احتياجاتكم».

فاتصل **البطريرك** هاتفيًّا بالوكيلِ الذي قال أنَّهُ هو أيضًا لم يُرسل أيَّ شخصٍ. فسأل **البطريرك**: «ماذا فعل هذا الكاهن لكم؟».

فأجاب القرويون: «كلَّلنا، عمَّدنا، جنَّز آباءنا، فعل كلَّ ما قد يقوم به كاهن».

فسألهم **البطريرك**: عما اذا كان أعطاهم أي أوراق أو شهادات للأسرار التي أقامها.

فأجاب سكان القرية: «أنَّهُ أعطاهم أوراقًا كما سجَّل على سجلات الكنيسة».

فسأل **البطريرك** عمَّا إذا كان أيٌّ منهم قد رأى ما كتبه وبأي اسم وقَّع. فأجابوا بأنَّ كُلَّ الوثائق كانت مكتوبة باللغة الرومانيَّة، لكن التوقيع كان في لغة لم يشهدوها من قبل.

طلب **البطريرك** منهم أن يذهبوا ليجلبوا الكُتب للتحقق مِنْ أنَّ الرجل هو رجل دين. ولمَّا عادوا وقرأ **البطريرك** ما كُتِب. انذَهَلَ **البطريرك** ولبثَ من دون كلام إذ لم يستطِع أنْ يصدِّق عينيِّه. جميع الوثائق كانت مكتوبة باللغة الرومانيَّة، في حين أنَّ الاسم مكتوب باللغة اليونانيَّة مع توقيعه: **نكتاريوس، اسقف المدن الخمس.**

عن اليونانية من

-/10/2009/http://apantaortodoxias.blogspot.com
html.8341_blog-post

ما هي التوبة – القديس نيقوديموس الأثوسي؟

أخي الخاطئ، هذا هو الاستعداد الواجب اتِّباعه قبل أنْ تتوب وتذهب إلى الاعتراف. اعرفْ أولًا أنَّ التوبة، بحسب القديس يوحنا الدمشقي، هي العودة من **الشيطان** إلى الله، التي تتمُّ بالألم والجهاد. وهكذا أنتَ أيضًا، أيُّها الحبيب، إذا رغبت بأنْ تتوب كما يليق، فعليك أنْ ترفض **الشيطان** وأعماله وتعود إلى الله وإلى الحياةِ التي تليق به. عليك أنْ تنبذَ الخطيئة التي هي ضدُّ الطبيعة، وتعود إلى الفضيلة التي هي بحسب الطبيعة. عليك أنْ تكره الشَّر كثيرًا، حتى تقول مع داود: «أَبْغَضْتُ الإِثْمَ وَكَرِهْتُهُ» (مزمور ١١٨:١٦٣)، وبدلًا عن ذلك، عليك أنْ تحبَّ الخير ووصايا **الرَّبِّ** كثيرًا حتى تقول أيضًا مع داود: «أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَأَحْبَبْتُهَا.» (الآية نفسها)، وأيضًا: «لأَجْلِ ذلِكَ أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ.» (مزمور ١١٨:١٢٧).

باختصار، **الرُّوح القُدُس** يعلِّمك بسيراخ الحكيم ما هي التوبة الحقيقيَّة في قوله: «تُبْ إِلى الرَّب وأقْلِعْ عنِ الخَطايا تَضَرَّعْ أَمامَ وَجهه وأَقلِلْ مِنَ العَثَرات. إرجِعْ إلى العَلِيِّ وأَعرِض عنِ الظُّلْم وأَبغِضِ القَبيحةَ أَشَدَّ بُغْض» (ابن سيراخ ١٧:٢٥-٢٦).

«فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَّتِكُمْ.» (متى ٦: ١٤-١٥).

إنَّ طَلَبَ **السَّيد يسوع المسيح** مزدوج: أنْ نشعُر بزلّاتنا، وأنْ نُسامح الآخرين. فمعرفة الإنسان بخطيئَته ضروريَّة لِيَسهُل عليه مُسامحة سِوَاهُ، لأنَّهُ بِنَظرِهِ إلى خطيئتِهِ الخاصَّة، يُسامح القريب إنْ سَقط. يجب أنْ نُسامح الآخرين ليس بالقولِ بل بالفعلِ ومِنَ القلبِ، حتى لا نُحوِّل السَّيف إلينا بواسطة **الحقد**. فالذي يُهيننا لا يُسبِّب لنا الضَّرر بقدر ما نُسبِّبه لأنفسنا بأندفاعنا إلى الغضبِ وتعريض ذواتنا للدَّينونةِ من **اللهِ**. فإذا أحببنا الذين يُهينونَنا فإنَّ شَرَّهم يقع على رؤوسهم، ويعانون الآلام بسببِ هذا، وبالعكسِ إذا غضبنا نعاني الآلام وَحْدَنا.

لذلك، لا تَقُلْ إنَّ فلانًا أهانَك وأَلْحَقَ بِكَ شرًّا عظيمًا. كُلَّما أكثرَتَ الكلامَ، تبدَّد بجلاءٍ إحسانُ عَدُوِّكَ إليك، لأنَّهُ بِتَعَدِّيهِ يعطيكَ سبيلًا للتَخَلُّصِ مِنْ خطاياكَ. فبمقدارِ ما تكونُ الإهانةُ عظيمةً تكون سببًا لتطهير نفسِكَ مِنَ الأعمالِ غير المشروعة. فلا أحدٌ يقدر أنْ يهينَنا إذا أردنا، لأنَّ **أَلَدَّ** أعدائنا يقدِّم لنا المنفعة بِعَدَاوَتِهِ.

ولماذا نتكلم عن البَشر؟ **فإبليس** يُقدِّم لنا الواسطة لِنتمجَّد أيضًا، كما رأينا هذا في **أيوب المعذَّب** كثيرًا، وإذا كان **إبليس** نفسه يُسبِّب لنا المجد، فلماذا نخاف **العَدُوّ**؟. لِنُوَجِّه انتباهنا إلى الخيراتِ التي نحصل عليها، إذا تحمَّلنا الإهانة بصبرٍ. مَنْ لا تَغْضِبْهُ الإهانة، يُفضِّلُهُ مُحِبُّوهُ. ومَنْ يبتعد عن الغضبِ لا يكرَهْهُ مخالطُوهُ. ومَنْ لم يجرِّب العداوة بنفسه لم يجرِّب الحزن أيضًا. ومَنْ لا يعادي القريب ليس له أعداء، ويحصل على رحمة **اللهِ**. فإنْ أبغضنا الآخرين نُقَاصِصْ أنفسنا. وإنْ أحببناهُم نُحْسِنْ إلى أنفسنا. إذًا علينا أَلَّا نُضْمِرَ العداوة لأحدٍ حتى نَستَحِقَّ محبَّة **اللهِ**. وحتى إنْ كُنَّا مَدِينينَ بوزناتٍ عديدة، يَتحنَّن **العليُّ** ويرحمنا. وإنْ كُنَّا خاطئين نحصل على تركِ خطايانا. وإنْ كُنَّا أبرارًا ندخل السَّماء بسهولَةٍ.

هل أهانك القريب؟ تساهلْ معه ولا تُضْمِرْ له البُغْضَ، إذرفِ الدُّموع وابْكِ، لأنَّكَ لم تُسخِط **اللهَ** بل قريبَك. إنَّكَ بِاحتمالِك الإهانة تعمل عملًا مبرورًا، تَذَكَّروا أنَّ **السَّيد المسيح** لمَّا كان ذاهبًا ليموتَ على الصَّليب كان مسرورًا وصلَّى مِنْ أجل الذين صَلَبُوهُ، فيجب على تابِعيهِ أنْ يتشبَّهوا به، لأنَّ الإهانة الموجَّهة إلينا تنفعنا، فلا ينبغي أنْ نحزن لأجلها.

هل القريب افترى عليك أمام الآخرين؟ إنَّهُ بعمله هذا سَبَّبَ لنفسِهِ القَصاصَ وعرَّض ذاتَهُ للمسؤوليَّة، لا لأجل أعماله فحسب، بل لأنَّهُ أدانك أيضًا. وإذا لم يُقنعك هذا القول فتذكَّر أنَّ **الشيطان نفسه قد افترى** على **اللهِ** وعلى **البشر** الذين خلَقَهُم وأحبَّهم كثيرًا. إنَّ **ابن اللهِ الوحيد نفسه** تحمَّل الشَّتم والإهانة. ولذلك قال: «إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ!» (متى١٠: ٢٥). **والرُّوح الشِّرير** لم يشتُم **المسيح المخلّص** فقط، بل افترى عليه بجرائم عظيمة مُسَمِّيًا إيَّاهُ مسكونًا ومرائيًا وعدُوًّا **للهِ**. أمَّا القريب الذي أهانك أمام الجميع فقد ثَلَمَ شرفَهُ وشانَ عِرْضَهُ وأعدَّ لكَ الأكاليل. فاحزنْ إذًا، لأَجْلِ مَن أهانَك وافرحْ مِنْ أجلِ نَفْسِكَ لأنَّك تمثَّلتَ **باللهِ** الذي «يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.» (متى٥: ٤٥). وإنْ كنتَ عاجزًا عن التَّشَبُّه **باللهِ**، وهذا لا يَعْسُر على النشيطين الصَّالحين، فاقْتَدِ **بيوسف العفيف** الذي تحمَّل المصائب الكثيرة مِنْ إخوته ثمَّ أحسَنَ إليهم ولم يذكر سَيِّئَاتِهم. أُنْظُر إلى **موسى** الذي رأى **اللهَ** وكان يُصلِّي مِنْ أجل اليهود الذين سبَّبوا له شرورًا كثيرة. أُنظرْ إلى رسول الأمم الذي احتمل الإهانات والاضطهادات مِنَ اليهود ثم أراد أنْ يحمل عنهم اللعنة. إعْتَبِر رئيس الشمامسة استيفانوس الذي رُجِم بالحجارة، ومع هذا فقد صَلَّى لمسامحة خطايا قاتِليهِ.

فليتذكرْ كلٌّ منَّا هذا وَلْيَكُفَّ عن بُغْضِهِ حتى يتركَ **اللهُ** لنا ما علينا بنعمة سيدنا **يسوع المسيح** المحبّ البشر الذي له مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والملك والشرف والسجود من الآن والى دهر الداهرين، آمين.

سألَ أحد الأخوة الأنبا أَمُّونا قال: « أسمعني كلمةً منكَ». فأجابَهُ الشيخ: «إذهب وطابق بين تفكيرك وتفكير رجال السوء القابعين في السجون، لأنَّهم لا ينفكُّون يسألون أينَ هو القاضي ومتى سيأتي، وانتظارهم إيَّاه يملأهم حُزنًا. وهكذا على الراهب وكلّ مسيحيّ أن يجتهد دومًا في توجيه اللَّوم إلى نفسِهِ. فيقول: «الويلُ لي، كيف أقوم في حضرة الله الديَّان؟ ماذا أقول له للدفاعِ عن ذاتي؟». فإن سَعَيتَ جُهدَكَ على هذا النحو استطعتَ أنْ تَخلُص».

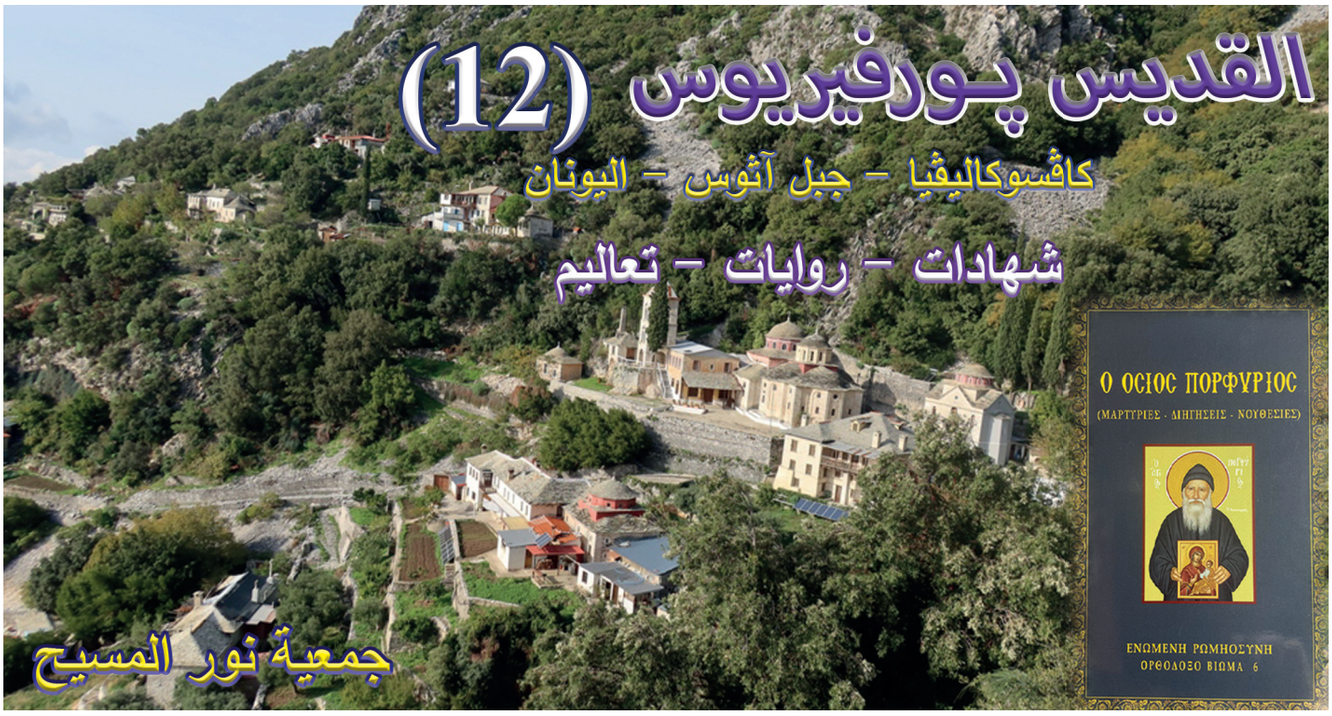

الجزء الثاني: شهادات عن القديس

خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة خريستونيمفي، رئيسة الدير المقدَّس، دير بشارة والدة الإله العذراء في جزيرة بطمس في اليونان:

ومن خلال حديثنا المتواصل قال لي الشيخ پورڤيريوس: هيَّا بنا لنذهب إلى الغابة القريبة، رافقته إلى هناك، تكتنفني الرهبَّة والفرح الداخلي يغمر قلبي، وبنما نسير متقدمين بين أشجار الصنوبر، وصلنا إلى سردابٍ طبيعيّ أو أشبه بالقبو. (في مصطلحات العصور الوسطى، القبو هو أشبه بغرفة حجريَّة أو مساحة من نوعٍ ما، يتمّ بناؤها عادة تحت أرضِ الكنيسة، أو القلعة، وعادة ما تستخدم كموقع دفن يحتوي على أضرحة أو رفات للبطاركة والأساقفة ، أو ذخائر القديسين). لكن هذا السرداب كان سردابًا طبيعيًّا، داخل جذع شجرة صنوبر كبيرة، حيث حوَّلها إلى منسكٍ صغير، وفي كثيرٍ مِنَ الأوقات كان يقيم فيه صلوات حارَّة ومتواصلة. وكان هذا المكان مفروشًا بالشراشف مع بساط بسيط للجلوس عليهِ، ولاقامة الصلاة أيضًا.

عندها وبعد جلوسنا بشكلٍ تلقائي، قال لي الشيخ پورڤيريوس: « إذًا إلى هنا آتي، وارفع الصلوات والتضرعات مِنْ أجل العالم قاطبة، ولأجل وطني اليونان، وأيضًا مِنْ أجل جزيرة إيڤيا الموجودة هنا مقابلنا. (وأراني نحو الأفق، جزيرة إيڤيا التي ظهرت لنا بوضوح)، حيث أتمنى لهم بشكلٍ خاص.

ملحوظة:

«منسك القديس پورڤيريوس المتواجد في ميليسي هو مقابل جزيرة إيڤيا، ويمكن استخدام العَبَّارة ما بين **ميناء إيريتريا** في جزيرة إيڤيا نحو **ميناء سكالا أوروپو** في الجانب المقابل، المدة هي قرابة العشرين دقيقة».

بعدها ابتدأ بفحص مكنونات وأفكار وأحاسيس نفسي، (وكأنَّة يقوم بإجراء فحوصات دقيقة بواسطة الأشعة السينيّة – رينتچن) ليُطلعني على أسرار وحتى تفاصيل مدفونة في داخل نفسي، وأيضًا مُراجعة حياتي كلّها، لدرجةٍ أنَّه اكتشف خفايا لا يعلم بوجودها أحدٌ على الإطلاق، فقط أنا والله لا غير.

ومن التفاصيل أذكر بعضها: فقال لي: ذهبتِ إلى الدير قبل إثنتي عشرةَ سنة، واقتبلتِ سرَّ المعموديَّة المقدسة في سنّ الخامسة، وكان بصحبتك أيضًا: فتاة صغيرة عمرها خمس سنوات، معلَّمة (مُدرَّسة) وأيضًا طفلٌ صغير. وفي كُلِّ مرَّة عندما كان يكشف لي أمرًا ما، كان يسألني، من خلال البساطة المفعمة بالقداسة التي ميَّزته: أليسَ كذلك حقًّا !.

وبعدها قال لي:- (كما لو كان يعرف كُلّ شيء عن الدير والأخوات المتواجدات فيه، وعن نظام حياتي في الرهبنة). انتِ قد حَصَلتِ على بَرَكة (إذنٍ) لتتناولي جسد السيِّد المسيح ودمه المقدَّسين كلّ خَمْسَةَ عَشَرَ يومًا. ولكن اسمحي لي فضلًا، واصغي إليَّ أنا الشيخ: أُتركي نظامك القديم، وابتدئي في التناول بعد الاستعداد كلَّ يوم أحد، لأنَّ المناولة المقدَّسة ما هي إلَّا دواء الخلود، وسوفَ تجعلُكِ أفضَلَ بكثير.

واستفاضَ قائلًا: إنَّ ديركم جيدٌ ويوجد فية العديد من الأخوات الطيبات، وابتدأ في تسميتهم الواحدة تلو الأخرى: ألا توجد هناك أُخت تُدعى مريم؟. ألا توجد هناك أُخت تُدعى أغاثي؟، وأُخت تُدعى پاراسكيڤي، وأُختٌ أخرى تُدعى أنتونيَّ؟ الخ ...

هل يوجد في ديركم العامر ماءٌ ؟ ، هل قمتم بعمليات الحفر لإيجاد الماء ؟ فأجبته:

كلَّا أيُّها الشيخ، لا يوجد لدينا ماء ولا قُمنا أيضًا بالحفر والتنقيب.

التتمة في العدد القادم

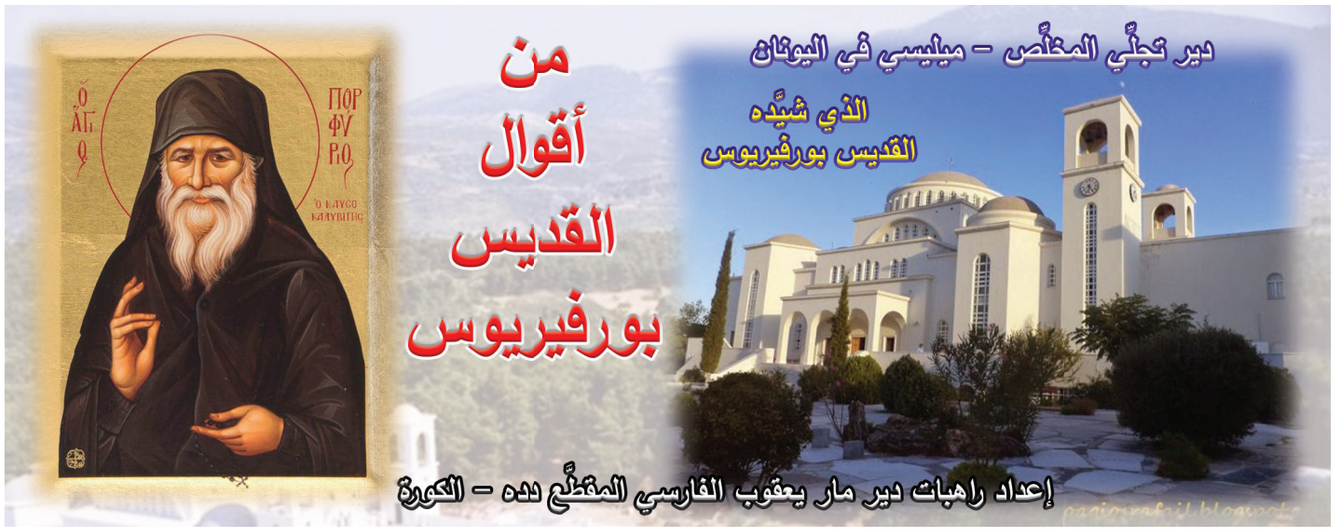

* جابِهْ كُلَّ الأمور بمحبَّة، بطيبة، بوداعة، بصبر وتواضع. كن دومًا كالصخر الذي يمرّ فوقه الموج ثمّ يعود ثانية مِنْ حيث أتى. كُنْ ثابتًا غير متزعزع. قد تتساءل هل هذا ممكن يا أبانا؟! نعم بنعمة الله هذا ممكن. أمّا إذا جابهنا الأمور بقوانا البشريَّة، طبعًا سيكون هذا غير ممكن.

* لا تتَّخذ موقفًا معاديًا ضدَّ مَنْ يجدِّف على الله. أبغض أقوالهم وأفعالهم. وأمَّا هم فأحبَّهم كبشر ضعفاء وصلِّ مِنْ أجلهم.

* أحبب الجميع وخاصَّة أولئك الذين يسبِّبون لك المتاعب. أظهِرْ لهم المحبَّة بكلِّ بساطة دون أنْ يشعروا بأنَّك مُجبَرٌ لتحبَّهم أو لتتحمَّلهم.

* التذمُّر على الآخرين يؤذي نفسك بالدرجة الأولى، لأنَّه لا يدعك تصلِّي بارتياح. والرُّوح القُدُس لا يقترب أبدًا مِنْ نفس مُتذمِّرة ولا يسكن فيها.

* أيُّها المسيح أنت حُبِّي. أنا لا أفكِّر بالموت. أنا أودُّ أنْ أفكِّر فقط بالمسيح. افتحوا أيديكم وارتموا في أحضان المسيح، وعندئذ سوف يحيا هو داخلكم. ازدروا بالأهواء ولا تهتمُّوا للشيطان. التفتوا فقط نحو المسيح. ولكي يتمَّ هذا اطلبوا أوَّلًا نعمته.

* وجِّهوا أذهانكم دومًا نحو العلاء، نحو المسيح. اعملوا مع المسيح، عيشوا مع المسيح، تنفَّسوا المسيح، تألَّموا مع المسيح وافرحوا أيضًا معه. ليكن المسيح كلَّ شيء بالنسبة إليكم. المسيح هو عروس نفوسكم، هو أبوكم، هو كلُّ شيء. لا يوجد أمّر أسمى في هذه الحياة مِنْ محبَّة المسيح. المسيح كلُّه فرح، كلُّه غبطة. النفس السَّكرى بمحبَّة المسيح هي دومًا فَرِحَةٌ وسعيدةٌ مهما واجهت مِنْ أتعاب وبذلت مِنْ تضحيات.

* نحن سعداء بقدر ما نحبُّ كلَّ البشر، وعندئذ سوف نشعر بأنَّ الكلَّ أيضًا يبادلوننا الحبَّ. لا يستطيع أحد أنْ يصل إلى الله إنْ لم يمرّ أوّلًا بالبشر.

* لا يستطيع المسيح أنْ يحبَّنا إنْ لم نكن نحن أهلًا لهذه المحبّة. لكي يحبّنا المسيح يجب أنْ يرى داخلنا شيئًا مميّزًا. هيِّئ نفسك دومًا لاكتساب ما يحبّ المسيح أنْ تملكه داخلك. وما هو هذا الشيء؟ إنَّه التواضع. إنْ لم نملك التواضع فَلا نستطيع أنْ نحبَّ المسيح.

* لا يستطيع أحد أنْ يعلِّمك الصلاة، لا الكتب ولا الأب الروحيّ ولا أحد. الأستاذ الوحيد للصلاة هو النعمة الإلهيَّة. فقط الرُّوح القُدُس هو الذي يعلِّم الصلاة. إنْ لم تدخل في جوِّ النعمة فَلا تستطيع أنْ تصلّي.

* لا تنشغلوا باقتلاع أشواك نفوسكم، بل وجِّهوا كلَّ قِواكم الداخليَّة نحو عمل الصلاح، نحو المسيح، والأشواك سوف تنقلع مِنْ نفسها. (هنا يريدنا الأب القدّيس أن نوجّه جهادنا نحو الإيجابيّات لا نحو السلبيّات).

* إنَّ طريقة الجهاد الأكثر ضمانة وسهولة هي طريق المحبّة. لا ترهقوا أنفسكم بطرد الظلام منها. يكفي أنْ تفتحوا ثُقبًا صغيرًا داخلكم ليدخل نور المسيح، فيتلاشى الظلام حالًا. وهذا ما يحصل مع ضعفاتنا وأهوائنا، ازدروها واحتقروا الشرَّ، والتفتوا فقط نحو المسيح. جاهدوا ببساطة وبدون عصبيَّة أو تشنُّج. وجِّهوا كلّ قواكم إلى اقتناء محبّة المسيح وإلى الالتصاق به، وهكذا يتحوَّل الشرُّ في داخلكم خيرًا بشكل سِرِّيٍّ دون أنْ تعلموا كيف وحتى دون أنْ تتعبوا. اقرأوا الكتب المقدّسة، رتّلوا ورنّموا المزامير وقوانين الكتب الكنسيَّة، وهكذا يتّجه الفكر تلقائيًّا، نحو المسيح، وتحلّ الحلاوة الإلهيَّة في القلبِ.

من أقوال الأب مرقس الناسك

إنَّ الذي تَرَكَ العالم وبَقِيَ مُحِبًّا للَّذةِ لم ينتفع شيئًا، لأنَّ كُلَّ ما فعَلهُ في العالم حُبًّا في كَسْبِ المال، يَفعَله الآن وهو لا يملك شيئًا.

كذلك العفيفُ، إذا اقتنى الأموال يكون اخًا للأوَّلِ بالفِكرِ، فَلَهُما أُمٌّ واحدةٌ هي لذَّة الفكر، أَمَّا أبوهما فليسَ واحدًا نظرًا لاختلافهما في الهوى (الأوّل يتلذَّذ بفكرِهِ، والثاني بِقِنية المال. فالأوَّل أبوهُ حُبّ اللَّذة، أمَّ الثاني فأبوه العفاف).

ثَمَةَ من يَقطع هَوًى بُغيةَ لذَّةٍ أفضل، فيمدَحهُ أولئك الذين يجهلون غايته. وقد لا يُدْرِكُ ذلك هو نفسُهُ فيتأَلَّمُ ويتعب باطلًا.

إنَّ سبب كُلِّ شَرٍّ هو اللَّذة، والمجد الباطل، فَمَنْ لا يَمُتْ هذين فَلا يُمْكِنُه قَطعَ أيِ هَوًى آخرَ منه. لقد قيلَ، أصل كُلِّ الشرور محبَّة الفضَّة. «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.» (١ تيمو ٦: ١٠) لأنَّها تستمد وجودَها مِنَ اللَّذة والمجد الباطل.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل السابع والعشرون

(تتمة من العدد السَّابق)

ــ فقال نكتاريوس:

ــ أعطِني مِنْ فضلك يا كوستي خمسة وعشرين دراخما مِنْ أجل أخينا الحاضر هنا.

فَصُعِقَ كوستي ووقف مشدوهًا. فسأله نكتاريوس:

ــ ما بِكَ؟ ماذا تُريد أنْ تقول؟ وَلِمَ تَقِفُ جامدًا هكذا؟.

فأجابَ كوستي:

ــ «أنا لا أملك المال يا صاحب السِّيادة.»

ــ «أرجوكَ، أُنظر جيِّدًا، فالحاجة مُلِحَّة».

فاقتربَ منه كوستي وَهَمَسَ في أُذنه:

ــ «خمسةُ وعشرون دراخما، هذا كُلُّ ما تبَقَّى لنا. ونحنُ ما زلنا في بداية الشهر. أنتَ تعرف ...».

ــ «أَعطِهَا يا كوستي فالرَّبُّ سيُرسل لنا عِوضَها».

ولمعت عينا ساكوبولوس، فاستدار نحو الزَّائر ونَظَرَ إليه وصَرَخَ بِقوَّةٍ:

ــ «وأنتَ، مِنْ أينَ جئتَ؟».

فقال له نكتاريوس بصوتِهِ الهادئ:

ــ «اهدأ يا كوستي ولا تقلق. فإنَّ كُلَّ مُساعدة نُقدمها للقريب نسترجعها، وغالبًا ما نحصل على أكثر منها. مِنَ الضروري حقًّا أنْ نُساعد هذا الأخ الذي لا نعرفه».

فذهبَ كوستي وهو يتذَمَّر. ثُمَّ عادَ بالمال وأعطاهُ للزَّائر المجهول.

وبعد ظُهر ذلك اليوم بالذَّات، راحَ كوستي يفرك عينيه: لقد شاهَدَ بوضوح كيف تحقَّقت قاعدة عودة المال «بغزارة». فقد تلَقَّى نكتاريوس من المتروبوليت ثيوكليطُس طلبًا للاحتفال بزواج أُناس أثرياء جدًّا في الكاتدرائيَّة. كما طلبوا حضور جوقة المدرسة للترتيلِ. وقد عُوملوا بِكَرَمٍ شديد، وهذا ما عادَ على الصندوق بمئة وعشرين دراخما كاملة: مئة للأسقُف وعشرون للتلامِذَة: ولم يحتفظ التلامذة بورقة العشرين دراخما، بل أعطوها للأُسقف شخصيًّا. وتمتَمَ ساكوبولوس:

القديس نكتاريوس أمام الباب الملوكي

ــ «إنَّ كلام هذا الرجل عجيب! فهو مزيج من الإيمان والتضحية. يا إلهي كُلَّما تقدَّم بالسِّنِّ، حَمَّلَ نفسه المزيد من الهموم والمسؤوليات ...».

الفصل الثامن والعشرون

«ترتوي من الخمور الفاخرة، وبالطيوبِ تتعطَّر، ولا تَفُتنا زهرة الأوان. ونتكلَّل بالوردِ قبل ذبوله» (حكمة ٢:٧-٨).

«لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ.» (كولوسي ٣:٣).

في إحدى الأُمسيات كان نكتاريوس يحرث أرض الحديقة بقرب شجرات الورود، فلاقاه كوستي وقال له:

ــ «لقد هزلتَ كثيرًا يا صاحب السيادة، وهذا أمرٌ يُقلقني».

فأجابَ نكتاريوس بهدوء:

ــ «لا تَخَف يا كوستي.»

ــ «خارج المدرسة ...

ــ «على فكرة يا كوستي، ما هي أخبار العالم؟.»

ــ «عمل وتعب وملذَّات أيضًا.»

ــ «أي نوع من الملذات؟.»

ــ «آه ... الرَّاحة، وهذا ما يُقال له أيضًا: الرفاهِيَّة ... الحلويات، الفواكه، الموسيقى، المسرحيَّات ...»

ــ «هذا خطأ يا كوستي، يضِلّ الناس عندما يبحثون عن السعادة خارج ذواتهم. تأكَّد بأَنَّ الثراء والمجد والاجتماعات والملذَّات الحسيَّة، كُلّ هذه المسرَّت الدنيويَّة تنتهي حتمًا بالمرارة.»

ــ «أنا لا أقول العكس، ولكن ...»

ــ «أنتَ تُناقضني بقولك: «ولكن». إنَّ السعادة الحقيقيَّة تنبع من الفرح بحسب الحكمة.»

ــ «لقد قُلتَ لي هذا بالسَّابق.

ــ «وراء جميع هؤلاء الناس الذي تراهم وتُعاشرهم، هناك عالم آخر يا عزيزي كوستي. هناك عالم كامل في داخل هذا الحشد الكبير».

فنظر إليه كوستي متعجِّبًا.

(يتبع)

«أبتي لقد أتيتُ أنا زوجتي إلى هنا لكي نتابع ونحتفل بِخِدَمِ الأسبوع المقدس لآلام ربنا. إنَّنا معًا نريدُ أنْ نعترف ونحصل على المناولة المقدسة إذا كنَّا مستحقين. ولكن قبل أنْ تسمعنا كُلًّا على حِدَةٍ، نحبُّ أنْ نخبرك عن تجاربنا الخاصة.

«مضى ستة أشهر إلى الآن مِنْ دونِ أيَّ إشارةٍ مِنْ ابنتنا. إنَّها في سنتها الثالثة في مدرسة الحقوق في تسالونيكي. قبل ستة أشهر، اتصلت بنا هاتفيًّا لتقول بأنَّها سوف تنتقل إلى بيتٍ جديد، وبأنَّها سوف تتصل مِنْ جديد لتعطينا عنوانها. وما أنْ وضعت الهاتف قرَّرتُ أنا وزوجتي أنْ نذهب الى تسالونيكي لكي نجدها، فنحنُ نعيش في بلدة صغيرة من مقاطعة كورنثوس. إنَّ مالكي البيت التي كانت تعيش فيه لم يخفوا شيئًا عنَّا. لقد تركت ابنتنا منذ **ثمانية أيام** وقد فكَّروا بأنَّ **البوليس المسؤول عن قسم المخدرات** كان يفتش عنها. أخيرًا كانت تأتي الى البيتِ عند الفجر وتنام كُلَّ اليوم. ولقد طرحنا زميلٌ لنا محاضرٌ في الجامعة في حالة مِنَ الخوفِ والمرارة بمجرد جملة قالها: «يجب أن تجدوا ابنتكم بأي ثمن. من الممكن أنْ تكون في خطر». وقد بحثنا عنها ولكن عبثًا. بعد شهرين اتصلت بواسطة الهاتف بوالدتها مستعملة لغة سوقيَّة لم تستعملها سابقًا ومُهَدِّدَةً إيَّاها وقائلةً بأنَّنا يجب علينا ألَّا نحاول إيجادها مِنْ جديد، وأنَّها انتهت مِنَّا. فهي لم تَعُدْ تريد أنْ تعرفنا، والجامعة كانت مَضيَعَةً للوقتِ، إذ إنَّ في الحياةِ أشياءَ أفضلُ.

منذ **ستة أشهر** من الآن **أبتي**، تركنا كُلَّ شيءٍ آخر، واستخدمنا جميع الوسائل الممكنة لكي نجدَها. لقد تبخَّرت في الهواء الواهي، أو سافرت، أو أنَّ المخدرات قد قتلتها وتمَّ التخلُّص مِنْ جسدها. **لقد أخبرتنا شرطة الأمن في تسالونيكي أنَّ أكثر من مئتي بنت في هذه السنة مفقودات في اليونان.**

لا نستطيع، في ظلِّ أيٍّ مِنَ الظروف، أنْ نبقى في البيتِ في هذا الفصح. لقد ذهبنا إلى تسالونيكي من جديد، وقد تقزَّزت أنفُسُنا حتى الأعماق من **الأشياء القذرة** التي رأيناها في تلك النوادي حيث كنَّا نحاول أنْ نجدَها. لقد عُدنا الى البيتِ، ولكنَّنا لم نستطِع تحمُّل البقاءِ هناك. لقد كنَّا في ضَياعٍ كُلِّيٍّ. ماذا نفعل؟.

ليس لدينا أولاد آخرون، نحن وحيدون في هذا العالم. إنَّ آخِرَ أَمَلٍ لنا هو **القديس يوحنَّا الرُّوسي** الذي تخدُمُهُ هنا. كلُّ اليونان تعرف عن عجائبه. لقد قرَّرنا أنْ نُمضي الأسبوع المقدس بالقربِ منهُ من غير أَكْلٍ، ومِنْ أجلِ أنْ نَتضَرَّعَ اليه بكلِّ قِوَانا وروحنا وبدموعٍ لأنْ يُخَلِّص ابنتنا». **(هذا كان حديث والد الفتاة).**

وفي يوم السبت العظيم المقدس سمعوا كلمات الطروباريَّة: «ليسكُن كُلُّ ذي جَسَدٍ بَشَريٍّ، وليَقِف ماثِلًا بخوفٍ وَرِعدَةٍ ولا يفتَكِرَنَّ في نَفسِهِ فِكرًا أرضِيًّا البَتَّةَ، لأنَّ ملك الملوك وربّ الأرباب يأتي لِيُذْبَحَ وَيُدفَعَ طعامًا للمؤمنين. تتقدَّمه مراتب الملائكة مع كُلِّ الرئاسات والسلاطين والشاروبيم الكثيري الأعين والسارافيم المحجوبي الوجوه ذوي الستَّة أجنحة هاتفين بتسبحة هليلويا.».

ثم جاءَا قائلَين: «أبتي، الليلة سوف نذهب الى البيتِ، سبتٌ عظيمٌ مقدسٌ. لقد فكَّرنا أنْ نحضر خدمة القيامة في كنيسة قريتنا الصغيرة».

تركا، ولكن مع رجاء سرِّي في داخلهما وفرحٍ مكتوب على وجهيهِمَا. بعد ظُهْرِ أحد الفصح، قُرعت أجراس كنيسة **القديس يوحنا الرّوسي** في پروكوپي – إيڤيا، لخدمة صلاة الباعوث. وقد كنتُ لابسًا ثيابي الكهنوتيَّة الاحتفاليَّة وممسكًا شمعة القيامةِ، وكنتُ على وشكِ نصف فتحة، زوجٌ آتيان نحوي بصحبة فتاةٍ شابة.

«أبتي، أبتي، هذه ابنتنا. انظر هذه إيفي، إبنتنا المحبوبة. لقد وجدناها في بيتنا. كانت تنتظرنا يا أبتي. كيف نستطيع أنْ نشكر القديس العظيم. يا الله يا الله المجد لك ولقديسيك».

«إشتركي في فرح والديك إيفي. إني أفرح جدًّا أنْ أراكِ هنا عند القديس يوحنا الرُّوسي صانع العجائب».

«أبتي، لقد حَييتُ. لقد تَأَرْجَحْتُ هذا الأسبوع ما بين الحياةِ والموتِ. وقد اخترتُ الموتَ، ولكن قُوَّةٌ غيرُ منظورةٍ، وبعد جهادٍ يفوقُ قُدرة البشر في داخلي، نشلتني ببساطةٍ مِنْ هُوَّةِ جحيم ذلك الموت، وأتت بي إلى الحياةِ، إلى بيتي وإلى هنا. سوف أُرتِّل يا أبتي، سوف أرتل أيضًا: المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموتَ بالموتِ، ووهبَ الحياةَ للذين في القبور.»

واستسلمت إيفي للدموع وأمسكَ أبوها جسدها المرتعش بين ذراعيه. لقد تأخَّرت خدمة صلاة الباعوث عشرين دقيقة، وكان الناس منتظرين، ولكن الحقيقة هي أنَّ خدمة صلاة الباعوث، بدأت لتَوِّها **بقيامة إيفي.**

«ولئن كنتَ قد انحدرتَ إلى القبر أيُّها العديم أن يكونَ مائتًا. إلَّا أنَّكَ حطَّمتَ قوَّةَ الجحيم، وقمتَ غالبًا أيُّها المسيحُ الإله. وللنسوة حاملات الطيب قلتَ افرحنَ. ولرُسُلِكَ وهبتَ السلام. يا مانح الواقعين القيام.»

في أزمنة الاضطهاد، عندما كان **الإخوة** يَفِرُّون مِنْ ميدان العمل ولا يتجاسرون على الاعتراف **بالمسيح ابن الله**، وقف الشُّهداء برباطة جأش في الميدان متمنطقين بالإيمان الحقيقي ومعترفين **بالمسيح ابن الله** بجسارة عظيمة، دون خوف.

لقد ثَبَتَ القدِّيسون الشُّهداء في جهادهم بسرور عظيم متحملين أنواع العذاب على اختلافها مِنْ أجل اسم **ابن الله الوحيد مخلِّص العالم**. إنَّهم حقًّا كانوا صالحين ومغبوطين لأنهم رأوا بأمِّ العين أدوات العذاب الهائلة مُعَدَّةً لهم على اختلافها: **كالنار الهائلة في الأتون، والدواليب المصرّة الدائرة في اللهيب، والبراثن النارية، والمناشير، والملازم، والأغلال، والقيود وغير ذلك**، ليستولي الخوف عليهم ويحبس ألسنتهم عن الاعتراف **بيسوع المسيح**.

ماذا صنع مُحِبُّو الله المجاهدون الحقيقيُّون لدى رؤيتهم أنواع العذابات أمام عيونهم؟ إنهم تسلَّحوا بالاستعداد لاحتمال كُلِّ العذابات، ليعترفوا **بالمسيح** أمام **السلطات واليهود**، مِنْ دون وَجَلٍ وبجسارةٍ عظيمةٍ. **فلا سعير النار، ولا غليان المراجل، ولا دوران الدواليب، ولا البراثن الحديدية، ولا أسنان المناشير، ولا ثِقَلِ القيود، ولا التهديد والوعيد وصرير الأسنان، ولا مكايد العدو** أثّرت في شجاعة المجاهدين في سبيل **المسيح**، وتمكَّنت مِنْ حملهم على إنْكار ربِّهم ومخلصهم، بل وطئوا بالإيمان حِيَلَ العَدُوّ كُلِّها، دون أنْ يتسرَّب إليهم الخوف.

أرأيت شجاعة عبيد الله المحبِّين؟ أرأيت ثباتَ أرواح محبِّي **المسيح** المجاهدين؟ أرأيت **إيمان محبِّي ملكوت العليّ**؟ أرأيت كمال إيمان هؤلاء المؤمنين المخلِصين؟ أرأيت محبتهم العظيمة التي استطاعوا بها احتقار كُلِّ شيء أَرْضِيٍّ ليشاهدوا **الله** الذي أَحَبُّوهُ؟ أرأيت كيف أنَّ الفردوس يُريد أنْ يرى فيه المكلَّلين بإكليلِ الظَّفر مسرورين بالنُّور؟

تعال، يا أخي الحقيقيّ، وتعلَّمْ وانظرْ ثمرَ الاستشهاد والإيمان والأفكار التَقِيَّة الصَّادقة في الجهاد الباسل الكامل! تَأَمَّلْ كيف أنَّ العذابات لم تُضعِف أفكارَ الصدِّيقين **ومحبَّتِهم لله تعالى** بل بالعكسِ تحمَّلوا التمزيقَ بسرورٍ عظيم، وَقَبِلُوا الضرب والجلد بِلَذَّةٍ، شاكرين الله ومبتهجين، لأنَّهم اسْتحقُّوا الآلام مِنْ أجلِهِ.

تَقَدَّمْ أيُّها السَّامع وكن تلميذًا للقدِّيسين المُعَذَّبين. فهُم مُعَلِّمون صالحون **لله**، إنْ شئتَ أنْ تتعلَّم منهم. تعلَّم منهم **الثباتَ في الإيمان والمحبةَ لله في الآلام العظيمة والرَّغبة في الحصول على الخيرات الآتية**. إنَّهم بقوّةِ اللهِ والإيمان الكامل، خرجوا مِنْ لهيب النَّار ظافرين، فتغلَّب أنتَ على **لهيب الشَّهوة الشِّريرة!** إنَّهم بالصَّبرِ وبالاتِّكالِ على **المسيح** تغلَّبوا على أنواع العذاب، **فَتغلَّبْ أنتَ بالعفاف وبالأفكار التَّقِيَّة** على **كُلِّ شهوةٍ رديئة!** إنَّهم بالوداعة وَكِبَرِ النَّفس تغلَّبوا على مُعَذِّبيهم، **فَتغلَّبْ أنتَ** على **الغضب المُؤلِم!** إنَّهم **صاروا شُهداء فصِرْ أنت شهيدًا!** إنَّهم جاهَدُوا بجسارة، فجاهِدْ أنت في السِّرِّ لتحصل على الإكليلِ في يوم العطاءِ العظيم، وتكون مساكنًا لهم في الملكوت ومسرورًا إلى أبد الآبدين. آمين.

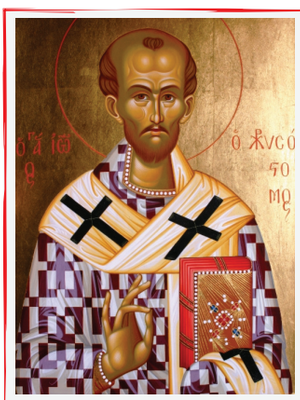

لا يَكُن الفمُ وحده مَنْ يصوم، بل العين والأُذُن والرِّجلان واليَدَان وكافَّة أعضاء جسدنا أيضًا. لِتَصُم اليدان في تجنُّب الخَطْفِ والجشع؛ ولتَصُمِ الرِّجلان بدورهما في تحاشي الإسراع إلى مسارح الإثم؛ ولتَصُمِ العينان في رفض ما يلذُّ لها مِنَ الأشكال المُغوِيَةِ وما يجعلها تُؤخَذ بالجمالات الغريبة. إنَّه تغيير الحياة كلّها بحيثُ يُمتنع عن الخطيئة ويُزَاوَلُ مِنْ ثمَّ الصومُ الحقيقي. وكذلك يليق بالصائم أنْ يكبح الغَضَبَ قبل كُلِّ شيء وأنْ يتثقَّف بالوداعة والاعتدال، وأنْ يحتاز قلبًا منسحقًا، وأنْ يطرد عنه ما كان سَيِّئًا مِنَ الرغبات، وأن يجعل نُصْبَ عينيه بلا انقطاع تلكَ العينَ التي لا تنام أبدًا والمَحكمةَ التي لا تَفسُد، وأنْ يترفَّع عن الثروات، وأن يُبدِي سخاءً كبيرًا في الصَّدَقَةِ، وأنْ يطرح مِنْ نفسه كُلَّ مرارةٍ تُجاهَ القريب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الإصحاح الثالث

العظة التاسعة (١كو٣: ١٢-١٧)

«وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًّا، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ.» (١كو٣: ١٢-١٥).

١- هذا الموضوع الذي يُطرَح الآن لا يُعَدُّ موضوعًا ثانويًّا بالنسبَةِ لنا. بل إنَّهُ يُذكَر ضمن الموضوعات الهامَّة التي مِنَ الواجب أنْ يعرفها جميع البَشَر، وهي: هل هناك نهاية **لنارِ الجحيم؟** أمَّا مِنْ حيثُ لا نهاية لها، فهذا أوضحه **المسيح** بجلاء «حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ.» (مر٩: ٤٤). وأنا أعرف أنَّ تفكيركم يتوقَّف حين تسمعون هذا الكلام، لكن ماذا أفعل، خاصَّةً أنَّ **الله** كان يوصِي دومًا بهذه الأمور، إذ يقول لموسى: «اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ» (خر ١٩: ١٠). ولأنَّني راعٍ لهذا الشعب، فأنا مضطَر أنْ أكون مُزعجًا للسامعين، دون أنْ أرغب في ذلك، بل لأنَّني مُجبَر على هذا. بل إنْ أردتم فلن أكون مُزعجًا، لأنَّ الرسول بولس يقول: « فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ.» (رومية ١٣: ٣). أي إنْ فعلتَ الصَّلاح فلا تَخَف، حتى أنَّهُ من الممكن ليس فقط ألَّا تسمعوني بامتعاضٍ بل بفرَحٍ.

إذًا فمن حيثُ أنَّ **نار الجحيم** ليست لها نهاية، فهذا ما أشار إليه **المسيح** له المجد، وقد بيَّنَ الرسول بولس أنَّ **الجحيم** أَبَدِيٌّ، وأنَّ الخطأة سَيُعَاقَبُون بعذابٍ أَبَدِيٍّ. (٢ تس ١: ٩). يقول أيضًا: «لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، يرثون ملكوت الله» (١كو٦: ٩-١٠). وفي رسالته إلى العبرانيِّين يقول: «اتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب١٢: ١٤). أيضًا قال **المسيح** لأولئك الذين قالوا له: «أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى ٧: ٢٢-٢٣). والأبرار الذين دُعُوا، لم يدخلوا، ويقول لأولئك الذين لم يُقَدِّموا طعامًا للجوعى، أنَّهم سيمضون إلى عذاب أَبَدِيٍّ. (متى ٢٥: ٤٦).

ولا تسأل أين العدل، إنْ كان **الجحيم** ليسَ له نهاية، لأنَّه عندما يفعل **الله** شيئًا، فيجب عليكَ أنْ تخضع لأحكامِهِ، وألَّا تفحص أقواله بالمنطق الإنساني. مِنْ ناحية أخرى أليسَ مِنَ العدل، أنْ يُعاقَب ذاكَ الذي ارتكبَ شرورًا تجعله مُستحقًا **للجحيم**، بعد أنْ تمتَّع قبلًا بنوال إحسانات لا حدَّ لها، ومع ذلك لم يُصبح أفضل، لا بالتهديد، ولا بالإحسان؟ بمعنى أنَّه لو أنَّنا نبحث عن العدل، فكان ينبغي علينا أولًا وبشكل مباشر أنْ نتحرَّر مِنَ القيود التي نضعها نحنُ البَشر، وفقًا لمعنى العدل. وربما ولا هكذا فقط يكون المسلك متوافقًا مع مطالب العدل، حتى وإن كُنَّا بعد قد اجترنا هذا الأمر، فهذا الحدَث سيُظهر أيضًا **محبَّة الله** للبَشَر. بمعنى لو أنَّ أحدًا ما ، أهانَ شخصًا لم يظلمه مُطلقًا، فإنَّه يُعَاقَب، وفقًا لقوانين العدالة. لكن لو أنَّ أحدًا أحسَنَ إلى آخر لم يسبِق له أنْ ارتَكَبَ أيّ شَرّ تُجاهه، بل بالعكس أسدى له أشياء حسنة لا حصرَ لها، فعندما يحدث بعد كُلِّ هذه الإحسانات التي يصنعها هذا المُحسِن، أنْ يُوَجِّه له هذا الشخص الإهانة، وليس هذا فقط بل ويهينه كُلَّ يوم بأفعالِهِ، فأيُّ غفران يكون مستحقًا له؟ هكذا **فعل الله**، الذي وَهَبَهُ نفسًا وَمَنَحَهُ الحياة،وقَدَّمَ له عطايا وإحسانات لا حصرَ لها، وسوفَ يُصْعِدُهُ إلى السَّماء. ومع ذلك يُخطئ في حقِّهِ، ويرتكب شرورًا كثيرة، ألَمْ ترَ كيفَ **عوقِبَ آدم لأجلِ ارتكابه خطيَّة واحدة ؟**

يقول نعم، لأنَّهُ قد أعطاه فِردوسًا، وجعله متمتِّعًا بِحمايته إلى أقصَى حدٍّ. وبالطبعِ هناك فارق بين أنْ يُخطئ أحدٌ وهو في أمان كامل، وبين أنْ يُخطئ وهو في حالة ضيقٍ شديد. أيّ أنَّ المُفرِغ ليس أنَّكَ لا تُخطئ وأنتَ في الفردوس، بل إنَّكَ لا تُخطئ وأنتَ وسط صعوبات الحياة الحاضرة التي حَصرَ لها، ومع هذا لا تَصِر أَحْكَمَ، فإنَّكَ تُشبه شخصًا مُقَيَّدًا بالشَّر، ويعيش معه مُضَطرًا. إلَّا أنَّ **الله** يَعِدَكَ بما هو أسمى مِنَ الفردوس الأرضيّ، ولم يُعطِكَ هذه الخيرات بعد، حتى لا

يُقَلِّل مِنْ قُوَّتِكَ في زمن الجهاد، ولا صَمَتَ عنها أيضًا، حتى لا تسقط بسبب كثرة الأتعاب. **فآدم** مِنْ ناحيةٍ ارتكب **خطيئة واحدة، وتسبَّبت في موته موتًا تامًا**، أمَّا نحنُ فنرتكب كُلّ يوم شرورًا لا حدَّ لها. فإنْ كانَ **آدم** الذي ارتكب **خطيئة واحدة**، قد أثارَ كُلَّ هذا الشَّر العظيم، وأَدخَلَ الموت إلى العالم، فماذا عن الآلام التي تنتظرنا نحن الذين نعيش في الخطيَّة بصفة دائمة، ومع ذلك نترجَّى السَّماء وليس حتى فردوس **آدم** الأرضيّ؟

إنَّ الكلام مُزعج ويُحزِن السامع، وأنا أعرفُ هذا بسبب ما أُعانيه أنا شخصيًّا، فإنَّ قلبي يضطرب ويُصارع، وبقدر ما أسمع أنَّ هناكَ حديثًا عن **الجحيم**، بقدر ما ارتعب أكثر وأرتعد مِنَ الخوفِ. إلَّا أنَّ هناك ضرورة للحديث عن هذه الأمور، حتى لا يكون مآلنا هو **الجحيم**. أنتَ لم تَنَل فردوسًا، ولا أشجارًا ولا نباتات، بل نِلتَ السَّماء والخيرات السماويَّة، ومادام أنَّ ذاكَ الذي نالَ القليل قد أُدين، ولم يُنقذه أيُّ تبرير، فبالأكثر جدًّا سنُعاني شرورًا لا يمكن الخلاص منها، نحن الذين ارتكبنا خطايا أكثر، بالرغمِ مِنْ أنَّنا قد دُعينا للأمور الأسمى. تأمَّل كم مِنَ الزَّمن يبقى جنسنا في الموت بسبب خطيئة واحدة. لقد مرَّ أكثر مِن خمسة آلاف سنة (حسب التوراة)، لكن الموت (الجسدي) لم يَبطُل بعد بسبب هذه الخطيَّة. ولا نستطيع أنْ نقول أنَّ **آدم** سَمِعَ لكلامِ نبيّ، أو أنَّه رأى آخرين وهم يُعَاقَبون بسبب خطاياهم، وبناءً عليه كان مِنَ الطبيعي أنْ يخاف ويتَضِع بسبب مثال سَبَقَ وأنْ رآه، وهو الأمر الذي لم يحدث، وعلى الرغمِ مِنْ أنَّه كان هو أوَّل مخلوق آنذاك ولم يَكُن معه أحدٌ، إلَّا أنَّه **عوقِبَ**.

بيدَ أنَّكَ لا تستطيع أنْ تُقَدِّم أيَّ شيء مِنْ هذه الأمور كمُبَرِّر، أنتَ يا مَنْ صِرتَ أسوأ رغم الإعلان عن الكثير مِنَ الأمثلة التي سبقتك، أنتَ يا مَنْ أصبحتَ مُستحقًا لِسُكنى **الرُّوح القُدُس**، ومع ذلك ترتكب ليسَ خطيَّة واحدة أو اثنتين أو ثلاثًا، بل خطايا لا حدَّ لها. ولأنَّ الخطايا تحدث في لحظة سريعة، فلا تعتقد أنَّ **الجحيم** بالتالي سيستمرُّ للحظةٍ بسيطة. ألَم ترَ في مرَّات كثيرة، أنَّ أولئك الذين بسبب سرقة واحدة، أو زنا لمرَّة واحدة، والذي يحدث في زمنٍ قصير، قد أنفقوا كُلَّ حياتهم في صراعٍ مرير، وفي معاناة مِنْ جوعٍ مستمر، وميتات كثيرة، ولم يُنقذهم أحد، ولم يَقُل أحد لأنَّ الخطيَّة حدثت في وقت زمني قصير، يجب أنْ يكون عقابها مُساويًا في القوَّة، ويستغرق نفس الوقت.

٢- لكن قد يقول البعض، إنَّ أولئك الذين يرتكبون هذه الخطايا، هم بشر، **والله محبٌّ للبَشر**. نعم، إلَّا أنَّه يجب الإقرار أولًا أنَّ البَشر لا يَفْرِضُون هذه العقوبات بسبب قساوةٍ أو فجاجةٍ، بل بمحبَّة نحو أقرانهم مِنَ البَشَر. هكذا أيضًا **الله** مِنْ منطلق أنَّهُ مُحبٌّ للبَشر، يُعاقب بشِدَّةٍ، «وَكَمَا أَنَّهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ، هكَذَا هُوَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (ابن سيراخ ١٦:١٣). إذًا عندما تقول لي أنَّ **الله** محبُ البشر، حسنًا، عندئذ تبدو كأنَّك تقول لي إنَّ سبب عقابنا كبيرٌ جدًّا، لأنَّنا نُخطئ أمام مثل هذا الإله المُحِبّ، ولذلك قال القديس بولس: «مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!» (عب١٠:٣١). أترجاكم أنْ تنتبهوا لقوَّةِ هذه الكلمات الناريَّة، لأنَّه ربما تنالون تعزيةٍ ما، بسببِ التزامكم في تنفيذ وصايا **الله**. مَنْ مِنَ الناس يستطيع أنْ يُعاقِب بقسوة، كما عاقَبَ **الله**، فقد أرسَلَ الطوفان، وأهلَكَ كثيرين، ثمَّ أمطَرَ نارًا وأزالَ كُلَّ شيء؟ أيُّ عقاب إنساني يُمكن أنْ يكون مماثلًا لهذا العقاب؟ ألَا ترى **الجحيم** الذي يأتي بسبب هذه العِلَّة، أنَّهُ **جحيم دائم؟** لقد مرَّت أربعة آلاف سنة، إلَّا أنَّ عقاب أهل سدوم مازال ظاهرًا بقوَّة. أيْ أنَّهُ كما أنَّ محبَّة **الله** للبشرِ فائقة، هكذا فإنَّ عقابه شديد.

حقًّا لو أنَّ **الله** قد أوصى بأمور عَسِيرةٍ ومستحيلة، لربما استطاع أحدٌ أنْ يتذَرَّع بصعوبة الوصايا، ولكن ما دامت وصاياه سهلة جدًّا، فهل نستطيع أنْ نتذَرَّع بشيء كمُبَرِّر لعدم قدرتنا على تنفيذها؟ ألَا تستطيع أنْ تصوم، أو تختبر العفَّة وضبطِ النَّفس؟ إنْ أردتَ، فإنَّكَ تستطيع بالفعل، وكلُّ مَنِ استطاع أنْ يفعل هذا، يُديننا. لكن **الله** لا يُعاملنا بهذه الكيفيَّة والتشدُّد في الطلب، ولم يأمرنا، ولم يُقَنِّن هذه الأمور، بل تَرَكَ الاختيار لرغبة أولئك الذين يسمعون لكلامه. يمكنك أنْ تكون عفيفًا بالزَّواج، ويمكنك ألَّا تَسكَر. هل تستطيع أنْ تَسعَد بكلِّ أموالك؟ بالطبع يمكنك، ويشهد بذلك كلُّ مَن فعل هذا، إلَّا أنَّ **الله** لم يأمر بهذا، بل أوصَى بألَّا نكون خاطفين، وأنْ نُساعد كلَّ من له احتياج. وإنْ قال أحدٌ إنَّني لا استطيع أنْ أكتفي بزوجتي فقط، فهو يخدع نفسه ويهذي، ويُصبح في موضع إدانة مِنْ أولئك الذين يحيَوْنَ بالعفَّة دون أنْ يكون لهم علاقة بامرأةٍ. أخبرني إذًا: أليسَ في مقدورك ألَّا تتكلَّم بالسُّوء؟ أليسَ في مقدورك ألَّا تَلْعَن؟ فإنَّ ممارسة هذه الأمور السَّيئة، يَعُدُّ أمرًا ثقيلًا، وليس العكس. أيُّ عذرٍ أو تبرير يمكن أنْ نُقَدِّمه، إذا كُنَّا لا نحفظ هذه الوصايا التي هي بهذا القَدر مِنَ اللطف واليُسر والسهولة، وإنْ كُنَّا لا نمتنع عن ممارسة هذه الأمور السيئة؟ لا يوجد أيُّ عُذرٍ يمكن تقديمه. هكذا يتضِح مِنْ كُلِّ ما ذُكِرَ وقيلَ، إنَّ **الجحيم دائم**، ولأنَّ البعض يعتقد أنَّ كلام الرسول بولس يُشيرُ إلى العكس، فلنتقدَّم في الحديثِ طالما أنَّنا قد وصلنا إلى منتصف الموضوع، ولنفحص هذا الأمر أيضًا.

فبعدما قال: «**إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ.**» **(١كو٣:١٤-١٥)**.

إذًا ماذا يمكننا أنْ نقول تُجاه هذا الأمر؟ بدايةً لنفحص مَن هو الأساس، وما هو الذَّهب، وما هي الأحجار الكريمة، وما هو العُشب، وما هو القَشُّ. لقد أعلنَ الرسول بولس بوضوح أنَّ الأساس هو **المسيح**، بأنْ قال: «فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١كو ٣:١١). وأعتقد أنَّ البناء هو الأعمال. وعلى الرغمِ مِنْ قول البعضِ إنَّ هذا الكلام ذاته قد قيلَ عن معلِّمين وتلاميذ، وعن هرطقات فاسدة، إلَّا أنَّ هذا الكلام ليسَ مقبولًا، لأنَّه لو قُلنا أنَّ الأمرَ هكذا كما يقولون، فكيف يحترق العمل ويخلُص الباني، حتى وإنْ كان بِنَار؟ أقول: لأنَّ المُتَسَبِّب يجب أنْ يُعاقَب (حتى لو كان مُعلِّمًا، لكنه نادى بهرطقات)، لكن الآن يحدث أنَّ العمل هو الذي يقع عليه العقاب (يحترق). إذًا لو أنَّ

المعلِّم قد صارَ سببًا للشَّرِ (الهرطقات)، فإنَّه يستحقّ العقاب بشدَّةٍ. لكن هنا كيف يقول بولس سيخلُص؟ نقول في هذه الحالة: الباني ليس هو السبب، لكن (عمله) فتلاميذه اكتسبوا منه صفات وتصرفات سيِّئة، أمَّا ذاكَ الذي صنعَ بناءً جيِّدًا، فإنَّهُ لا يستحقّ على الإطلاق أنْ يُعاقَب، ولنْ يتعرَّض لأيِّ خسارة. هذا يعني بوضوح، أنَّهُ يتكلَّم عن الأعمال لذا يقول: «فسَيخسر».

ولأنَّهُ كان ينوي أنْ يتحوَّل فيما بعد للحديثِ عن خطورة ممارسة الزِّنا، فإنَّه وضَعَ مُقدمة كافية قبل الخوض في هذا الموضوع. لأنَّه مُدرِك أنَّهُ، وبينما يتكلَّم عن موضوعٍ ما، فإنَّه يُمهِّد لموضوع آخر سيتكلَّم عنه. فقد وَبَّخَ المؤمنين لأنَّهم لم يحفظوا أنفسهم في الأمور الحسنة، ومن حيثُ أنَّه تعجَّل الآن أنْ يتكلَّم عن خطورة ممارسة الدعارة، فهذا قد تبرهنَ عليه مِنْ أنَّهُ بعدما تكلَّمَ عن الأساس أضاف:

« أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ، لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ.» (١كو ٣:١٦-١٧).

ومن تلك اللحظة التي قال فيها هذا الكلام، جعل نفس الزَّاني ترتعش وترتعد من الخوفِ «لكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًّا» (١كو ٣:١٢). بمعنى أنَّهُ بعد الإيمان، يحتاج المرء إلى بناء، لذلك يقول في موضعٍ آخر: «عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ» (١ تسا ٥:١١). خاصَّةً وأنَّ الباني، والذي يتعلَّم منه كيف يبني، يُساهمان معًا في البناء، ولذلك يقول: «فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي» (١كو ٣:١٠).

(يتبع في العدد القادم)

عن الكاهن الوَرِع (قصة: بكاء الكاهن)

أثناء فترة الصوم الكبير المقدَّس عَلِمَ كاهن الرعيَّة في إحدى القرى الصغيرة، والتي معظم شعبها من المسيحيِّين، أنَّ ثلاثة مِنْ أبناء الكنيسة عازمون على **ترك المسيح**، والالتزام مع جماعة مِنَ الشباب منفلتين أخلاقِيًّا، ولا تؤمن بوجود إله.

لم تفلح محاولات الكاهن في إقناعهم رغم الإيضاحات الوافية التي قدَّمها لهم، ورغم التوسُّلات الكثيرة التي توسَّلها مُبيِّنًا مدى خطورة هذه الخطوة على مستقبلهم الرُّوحيّ، لا بل على مستقبلهم بشكلٍ عام. ولكن، لمَّا وجد الكاهن أنَّ هذه الوسائل كلَّها لم تُجْدِ نفعًا، لجأَ إلى رفع الصلوات الحارّة إلى الله، مُتشفِّعًا بالسيِّدة العذراء والقدِّيسين وتقديم القرابين مِنْ أجل هدايتهم وخلاصهم، كما طلب مِنْ أقرب المقرَّبين إليه أنْ ينضمُّوا إليه في صلاته، مُذكِّرًا إيَّاهم بقولِ الرَّبِّ: «إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متّى ١٨:١٩).

ويوم الأحد، وأثناء القُدَّاس الإلهيِّ، بينما كان يعظ الشعب انفجر الكاهن ببكاءٍ شديد على أولاده المُصِرِّين على **ترك المسيح**. ومن حرارة الصَّلوات وغزارة انسكاب دموع الكاهن، لاحظ الحاضرون في الكنيسة أنَّ أعمدتها تسيل منها قطرات من الماء وكأنَّها دموعٌ تشارك الكاهن بُكائِهِ، فتأثَّر الحاضرون، وارتفعت صلواتهم مصحوبة بالبكاءِ أمام الله، ولمَّا عَلِمَ هؤلاء الثلاثة بالأمرِ الحاصلِ، نُخِسَت قلوبهم، وعادوا إلى الكنيسة **مُعترفين بخطاياهم**.

أحبَّاءنا، إذا رأيتم إنسانًا يبتعد من طريق الله، فقدِّموا صلوات من أعماق قلوبكم حتّى تتحرَّك مشاعره ويرجع بالتَّوبة، **وإنْ تَمادى في أَخْطَائِهِ وَرَفْضِهِ لله** لا تنزعجوا، بل ثابروا على صلواتكم مُستعينين بشفاعة والدة الإله الكلِّيَّة القداسة وشفاعة القدِّيسين القادرة أنْ تهزَّ أركان الشَّرِّ كُلِّهِ، وأنْ تُلَيِّن القلوب مهما كانت قاسية.

قَدِّموا محبَّتكم للبعيدين، واستمرُّوا فيها مهما بدت الظُّروف صعبة، واسندوها بالصلاة والصوم، واعلموا أنَّ دموعكم المُنسكبة أمام الله غالية جدًّا، وإيمانكم الظاهر في لجاجتكم يفيض عليكم مراحم الله فتنمو علاقتكم بِهِ وتختبرونه في حياتكم، بل وتستطيع صلاتكم المُنسحقة أنْ تَهُزَّ حتّى الجبال.

إنَّ أقوى الصَّلوات هي التي تُقَدَّم في ساعة الضِّيق، وثقوا أنَّ الله لا يسمح بضيق فوق الطَّاقة، ولا بُدَّ أنْ يتدخَّل ولو في آخر لحظة ليُخلِّص أولاده، فلا تُضيِّعوا صلواتكم هباءً.

لا تنسوا في صلواتكم اليوميَّة أنْ تذكروا البعيدين عن الكنيسة، وكلَّ مَنْ يمرُّ في ضيقٍ أيًّا كان نوعه، وكذلك الذين طلبوا منكم الصلاة لأجلهم، فيرحمكم الله ويرحمهم ويُباركم ويُباركهم.

« مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاَثَ سِنِينَ لَيْلاً وَنَهَارًا، لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ.» (أع ٢٠: ٣١).

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122